أخى العزيز

من فضلك

اذا اعجبك الكتاب قم بشرائه

مع القرآن الكريم
الجزء الأول

الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

الحائزة على الجوائز الآتية

جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤

جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠

المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم

في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

وسط البلد: ٣ شارع منصور - المبتديان - متفرع من شارع مجلس الشعب محطة مترو سعد زغلول - القاهرة - مصر.

تليفون: ٧٩٥٣٠٢٢ (٠٠٢٠٢) - ٧٩٤٢٢٠٣ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٧٩٤٣٦٤٣ (٠٠٢٠٢)

العنوان الإليكتروني: **www.darelfarouk.com.eg**

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

عدد الصفحات ٢٨٠ صفحة

رقم الإيداع ٨١٢٧ لسنة ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-345-940-3

مع القرآن الكريم

الجزء الأول

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاد الحق علي جاد الحق
رحمه الله

التعريف بالإمام الأكبر

فضيلة الشيخ جاد الحق

مولده ونشأته:

هو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، حنفي المذهب، ولد بجهة بطرة مركز طلخا محافظة الدقهلية في عام ١٩١٧م، حفظ القرآن الكريم وجوده بعد أن تعلم القراءة والكتابة بكُتّاب القرية، ثم التحق بالجامع الأحمدي بطنطا في سنة ١٩٣٠م واستمر فيه حتى حصل على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٣٤م وواصل فيه بعض دراسته الثانوية، ثم استكملها بمعهد القاهرة الأزهري حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٩م، بعدها التحق بكلية الشريعة وحصل منها على الشهادة العالية سنة ١٩٤٣، ثم التحق بتخصص القضاء الشرعي في هذه الكلية، وحصل منها على الشهادة العالمية مع الإجازة في القضاء الشرعي سنة ١٩٤٥م.

- **مناصبه:**

عمل فور تخرجه موظفًا بالمحاكم الشرعية، ثم أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية، ثم قاضيًا في المحاكم الشرعية، ثم تدرج في القضاء بعد إلغاء المحاكم الشرعية حتى أصبح مفتشًا أول بالتفتيش القضائي بوزارة العدل.

- **منصب الإفتاء:**

عين فضيلة الإمام مفتيًا للديار المصرية عام ١٩٧٨، فكرس كل وقته وجهده في تنظيم العمل بدار الإفتاء، وعمل على تدوين كل ما يصدر عن الدار من فتاوى في تنظيم دقيق حتى يسهل الاطلاع عليها عند الحاجة في أقل وقت ممكن، ثم توج

عمله بإخراج الفتاوى التي صدرت عن الدار في قرابة ثمانين عاماً من سجلات الدار حتى تكون في يد كل مسلم يريد الاطلاع عليها والاستفادة منها.

- **وزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر:**

في يناير من عام ١٩٨٢ اختير فضيلته وزيراً للأوقاف، وفي نفس العام صدر القرار الجمهوري بتعيين فضيلته شيخاً للأزهر.

- **إنتاجه العلمي:**

لفضيلته العديد من الأحكام القضائية التي اشتملت على بحوث واجتهادات فقهية أخرجها طوال عمله بالقضاء، وكذلك البحوث الفقهية والتقارير الفنية في التفتيش على أعمال القضاة.

وقد تم نشر هذه البحوث في مجلة المحاماة الشرعية وغيرها من المجلات.

أما الفتاوى فثابتة بسجلات دار الإفتاء وبها مجموعة من الفتاوى الخاصة بأمور مستحدثة لم تطرح للبحث من قبل.

هذا بخلاف الأبحاث المطولة التي قدمها فضيلته في المؤتمرات التي شارك فيها أو التي ترأسها.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، يهدي من يشاء إلى فهم أسرار كتابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين على وحيه، والنور المبين:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (١)

والهادي إلى الطريق المستقيم:

((وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)) (٢)

وعلى آله وصحبه أعلام الرشاد وأئمة الدين، وأتباعه المخلصين، حملة شريعته، وحفاظ سنته وناشري دعوته.

وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله المبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قد تكفل الله بحفظه دون سائر الكتب المنزلة فقال جل شأنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (٣)

بينما وكل حفظ الكتب السابقة إلى الخاصة من رجال الدين من أتباعها. فقال تعالى:

((إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ)) (٤)

وقد أنزل الله كتابه ـ القرآن الكريم ـ على رسوله فبينه للناس وفصل مشكله، وبين ما انطوى عليه من أسرار:

---

(١) من الآية ١٥ من سورة المائدة.

(٢) من الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٩ من سورة الحجر .

(٤) من الآية ٤٤ من سورة المائدة.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]

فكان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في كل حركاته وسكناته نموذجًا حيًا عمليًا لهدي القرآن، وحق للسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن تصفه بذلك في قولها: «كان خلقه القرآن» فكان الرسول ﷺ قرآنا يمشي بين الناس.

وبهذا الاعتبار فإن السنة والقرآن توأمان مصداقًا لقوله ﷺ:

«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» (رواه أحمد).

القرآن المعجزة الباقية:

ولما كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ خاتم الأنبياء والمرسلين. أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تظل معجزته باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ففي حديث أخرجه الإمام البخاري:

«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله لي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا».

ويؤخذ من هذا الحديث الشريف أن معجزات الأنبياء والرسل انقرضت بانقراض عصورهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، وهي حجة قاصرة عليهم لا تلزم غيرهم ولا من جاء بعدهم.

أما معجزة القرآن فهي خالدة مستمرة إلى يوم القيامة فهو خارق للعادة أعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة في أسلوبه وبلاغته.

وهو كذلك معجز من حيث إخباره عن الغيبيات والاكتشفات الكونية وغيرها إذ لا يمر عصر من العصور إلا ويظهر ما يؤكد صحته ويثبت دعواه.

وبمعنى آخر فإن المعجزات الماضية كانت حسية، تشاهد بالأبصار، «كناقة صالح» و«عصا موسى» و«إبراء الأكمه والأبرص»، و«إحياء الموتى لعيسى» ـ عليهم

---

(١) من الآية ٤٤ من سورة النحل.

السلام - لكن معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعيني الرأس ينتهي بانتهاء المشاهدة، والذي يشاهد بعين البصيرة والعقل يبقى مستمراً به كل من جاء بعد ذلك.

وسائله - ﷺ - في حفظه:

ولما كان القرآن الكريم بهذه المكانة فقد كانت عناية الرسول - ﷺ - به في أعلى درجاتها بحيث لم يحظ كتاب منزل بمثل ما حظي به القرآن الكريم، قبولاً، وحفظًا في الصدور، وتسجيلاً وكتابة في الصحائف، وكانت همته - ﷺ - منصرفة إلى حفظه واستظهاره حتى نزل قوله تعالى:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾(١)

فكأن الله يثبت ما يوحيه إليه جبريل في قلبه. ويقرأه على الصحابة؛ كما نزل ليحفظوه، وعلى كُتَّاب الوحي ليكتبوه حسب الترتيب الموحى به.

وتستمر عناية الرسول - ﷺ - به فيحيي الليل بتلاوة القرآن في الصلاة، وفي غيرها عبادة وتدبراً لمعانيه واستجابة لأمر الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾(٢)

ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى؛ حتى جمع - عليه الصلاة والسلام - القرآن الكريم كله في صدره الشريف، وحفظه أصحابه - رضي الله عنهم - في

---

(١) الآيات ١٦ : ١٩ من سورة القيامة.

(٢) الآيات ١ : ٤ من سورة المزمل.

صدورهم حيث كانوا يتسابقون إلى تلاوته ومدارسته، ويعلمونه أزواجهم وأولادهم، وكان الذي يمر على بيوت الصحابة في غسق الليل يسمع دويًا كدوي النحل لتلاوتهم القرآن، وقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال له: «لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود». فقلت: لو علمت ـ والله يا رسول الله ـ إنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً».

وروى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن، وإن كنت لم أر منازلهم بالنهار».

وكان كتاب الوحي من خيرة الصحابة المجيدين المتقنين ومنهم: زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وغيرهم.

وفي شأن كتابة القرآن روى الشيخان عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبوزيد». وهناك كثير غير هؤلاء يكتبون القرآن.

وكتب الله ـ تعالى ـ على نفسه أن يتعهده بالحفظ والرعاية والعناية التي لم يحظ بها أي كتاب من الكتب السماوية، وها هو بحمد الله بيننا تتألق أنواره، وتفيض بركاته ويزداد خدامه شرقًا وغربًا، وتتنوع من أجله العلوم، كما قامت في خدمته من قبل علوم النحو والصرف، والبلاغة والأدب، والقراءات، والتجويد وغيرها، وها نحن نجد فيه الملجأ والعلاج لكل الأدواء النفسية والروحية والدينية والدنيوية، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«ستكون فتن كقطع الليل. قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل، ليس بالهزل..» الحديث أخرجه الترمذي.

وقد كان لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ في شهر رمضان سلسلة من الأحاديث متصلة بالقرآن الكريم وعلومه

وأحكام تلاوته مما ينبغي للمسلم أن يلاحظه، وأن يحرص على معرفته؛ وكلها مسائل تحمل علما وفقها، وهي زاد شهي على مائدة الرحمن.

ومن منطلق حرص الأزهر الشريف ـ أمانة اللجنة العليا للدعوة الإسلامية ـ على نشر الأحكام الشرعية، والثقافة الإسلامية، فقد اتجه القصد إلى جمع هذه السلسلة توطئة لطبعها في كتاب تحت عنوان:

«مع القرآن الكريم»

نقدمه للقارىء الكريم لما له من جليل الأثر وعظيم الفائدة ولاسيما في عصرنا الحاضر الذي تواجه فيه المجتمعات الإسلامية مشكلات دينية تحتاج إلى بيان حكم الله فيها، وإلى ردود حاسمة تبطل شبهات الزائغين، وتهدم دعاوى الملحدين.

وقد رتبناها تحت عشرة عناوين رئيسية تجدها مفصلة في «الفهرست» ـ وهذا الكتاب بمحتوياته مرشد أمين للدعاة في مسائل شتى حيث يجمع خلاصة بحوث متنوعة في «الفقه» و«علوم القرآن والسنة» ربما يجدها القارىء متناثرة في أمهات الكتب والمراجع ويحتاج الباحث في الحصول عليها إلى وقت طويل، وجهد مضن.

والأمانة العامة «للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف» تأمل أن يعم المسلمين نفعه، وأن يجزل الله الثواب لفضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ إزاء هذا الجهد المشكور خدمة لكتاب الله ـ عز وجل ـ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أمين عام

اللجنة العليا للدعوة الإسلامية

محمد أمين البدوي

بسم الله الرحمن الرحيم
رمضان شهر القرآن

شهر رمضان المبارك قد فرض الله صومه فقال في سورة البقرة:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (١)

طاعة لربنا واستجابة لأداء فرائضه نصوم شهر رمضان الذي قال عنه رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ :

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وما رواه البيهقي، وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ كفَّر ما قبله».

إن الرسول ﷺ قد حث عزائم المؤمنين على الطاعة والعبادة، وهو يشرح صدورهم لما يتنزل عليهم في أيامه من بركة ورحمة، ويشوق أرواحهم إلى ما يضيفه الصيام عليها من قوة وإشراق وقدسية.

لقد خطب الرسول ﷺ في صحابته في آخر ليلة من شهر شعبان فقال:

«أيها الناس: قد أظلكم شهر عظيم مبارك.، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر. شهر جعل الله صيامه فريضة. وقيام ليله تطوعا. من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥

فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر. والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه.

من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء».

قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ:

يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن.

وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف فيه عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار. فاستكثروا فيه من أربع خصال:

خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غناء بكم عنهما. فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه.

وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة».

إن الله سبحانه يخلق ما يشاء ويختار، وقد خلق الله الأزمنة واصطفى منها مواسم لعبادته وتنزل رحمته، واختار أياما وليالي تتوافر فيها نعماؤه وأفضاله:

((إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا))[1]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ ﴾[2]

فهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار، وما كان لأحد غيره الخيرة.

---

(١) من الآية ٨٧ من سورة الإسراء.

(٢) الآيات من ١ : ٣ من سورة القدر.

ميزات لشهر رمضان

إنه الشهر الذي سماه القرآن باسمه هذا صراحة، وهو الشهر الذي أفاض الله فيه أكثر نعمه على عباده. فقد أنزل فيه القرآن الذي سما بالإنسان، وارتفع به وعلمه ما لم يكن يعلم، وفرض المساواة بين الناس جميعا فلا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح.

في شهر رمضان كان مدد الله لرسوله ﷺ، ولدينه الإسلام بالنصر:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

إن شهر رمضان موسم للخلاص مما اقترفه الإنسان من سيئات..

إنه موسم الإخلاص في التقرب إلى الله بطاعته: إخلاص لله، وإخلاص الدين لله رب العالمين. فأقبلوا على الله وتوبوا إليه واستغفروه يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[2]

---

(١) الآية ٩ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٥٢ من سورة النور.

من ثمار الصوم

الصيام مدرسة لتربية المسلم على طاعة الله ومراقبته في السر والعلن، وهو وقاية وحصن من أمراض النفس والجسد.

والصوم صحة للبدن ونقاء للنفس وموسم للخيرات والبركات والثواب وتزكية وطهارة، غايته التقوى وأساسه الإخلاص.

إنه إمساك عن تخمة تحيل جسم الإنسان إلى مزرعة أمراض.

الصوم ينظف البدن من السموم التي تتكاثر فيه، وهو تدريب على التغلب على الغرائز وتهذيب للطبائع الحادة حتى تصير جادة.

وهو تقويم للإرادة وتشجيع لها أن تستيقظ ولا تنام وأن تشرق ولا تخبو.

إنه الطريق إلى التقوى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[1]

ليس الصيام كسلا وبطالة، إنما الصوم صبر ورحمة وتواضع وإيثار وترفع عن الدنايا والخطايا وخشوع وخضوع وحلم وحسن خلق.

هكذا علمنا رسول الله ﷺ في قوله:

«إنما الصوم جنة؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم».

الصائمون مهاجرون إلى الله ورسوله إنهم ممن يجري عليهم قول الله تعالى:

---

(١) الآية ١٨٣ من سورة البقرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

الصوم رياضة النفس على الكمال والترفع عن النقائص وصولاً بها إلى أخلاق الصائمين، وأول هذه الأخلاق الصدق والإخلاص لله في النية والعمل، وحسن المراقبة والإحسان في الصلة بالله بأن «تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»..

ثم الصدق مع الناس، ويتجلى هذا في حسن القول والعمل «قولوا للناس حسنا» والمودة والإيثار.

((وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ))[2]

والصائم لا يكذب.

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ))[3]

---

(١) الآيات ٣٠ : ٣٣ من سورة فصلت.

(٢) من الآية ٩ من سورة الحشر.

(٣) من الآية ٢٨ من سورة غافر.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا))[2]

ومن الصدق مع الناس حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة وعن السخرية بالغير:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[3]

فالصوم صدق مع الله وصدق مع النفس وصدق مع الناس.. إنه عمل بالطاعات وبعد عن المحرمات.. إنه موسم لجلاء القلوب وإحياء النفوس وإصلاح الأبدان.

إنه دعوة إلى الصبر والكفاح تدريبا على متاعب الحياة وتعويداً على مغالاتها. وصدق رسول الله ﷺ إذ قال:

«الصوم نصف الصبر»[4]

---

(١) الآية ٢٧ سورة الأنفال.

(٢) من الآية ١٠٧ من سورة النساء.

(٣) الآيتان ١١ : ١٢ من سورة الحجرات.

(٤) رواه أحمد

وليس من أخلاق الصوم التخمة.. انظروا إلى قول الله ـ تعالى ـ:

((وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ))[١]

وصح عن رسوله الله ـ ﷺ ـ قوله:

«ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه..»[٢]

وفي المأثورات عن لقمان قوله لابنه:

إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وفي الخلو من الطعام فوائد، وفي الامتلاء مفاسد. ففي الجوع: صفاء القلب وإيقاد العزيمة ونفاذ البصيرة.. والشبع يورث البلادة ويعمي القلب، وفي قلته كسر الشهوة والاستيلاء على النفس الأمارة، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات، والسعادة كلها في أن يملك الإنسان نفسه والشقاء في أن تملكه نفسه وصدق الله:

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣]

---

(١) من الآية ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) رواه الترمذي وأحمد واللفظ للترمذي.

(٣) الآية ٥٣ سورة يوسف.

مع القرآن في شهر رمضان

من سمات رمضان القرآن:

((شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ))(1)

وقد وصف الله القرآن والعاملين به فقال:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾(2)

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾(3)

ونحن مع القرآن في شهر رمضان نأخذ من علومه وآدابه حتى نكون ممن انتفعوا به وقال الله فيهم:

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ ﴾(4)

---

(1) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(2) الآيات ١ : ٥ من سورة البقرة.

(3) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(4) من الآية ٢ إلى الآية ٣ من سورة الكهف.

نحن في موسم القرآن، علينا أن نقبل على تلاوته وحفظه والمحافظة عليه وإعطائه حقه من التوقير والتعظيم؛ فإنه كلام رب العالمين، وعهده إلى الناس أجمعين. من قال به صدق، ومن حكم به عدل وهدي إلى الصراط المستقيم.

ارصدوا الجوائز لحفظه وتحفيظه لأبنائكم وبناتكم ونسائكم وكونوا قدوة لهم في استفتاح يومكم وأعمالكم بتلاوة ما تيسر منه، فهو وحي من ربكم:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [1]

---

(١) الآية ٤ سورة النجم.

الوحي في القرآن

في لغة العرب أن الوحي: الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، والصوت يكون في الناس.

وأوحى إليه بعثه وألهمه..

ونقل أيضا أن الوحي لغة: الإعلام في خفاء والكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويت شيئا بعد شيء.

والوحي في القرآن أنواع:

فقد استعملت كلمة (الوحي) في القرآن وفي لسان العرب لغير إعلام الله لأنبيائه.

ففي القرآن قول الله تعالى:

((وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا))(١)

وقال سبحانه:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾(٢)

وكلمة الوحي في الموضعين السابقين جاءت بمعنى: الإلهام. وقال سبحانه مخبراً عن يوسف ـ عليه السلام ـ :

((وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))(٣)

إذ الراجح أن الوحي جاء في هذا الموضع وحي النبوة والرسالة على ما رجحه الأكثرون من المفسرين.

---

(١) من الآيتين ٦٨ : ٦٩ من سورة النحل.

(٢) الآية ٧ سورة القصص.

(٣) من الآية ١٥ من سورة يوسف.

أنواع الوحي إلى الأنبياء:

إن الله سبحانه قد أوحى رسالاته إلى من اختارهم من خلقه لحمل هذا العبء وكان لهذا الوحي إلى الرسل - عليهم السلام - طرائق منها:

١- أن يأتي الوحي في المنام ففي القرآن قول إبراهيم - عليه السلام - لابنه:

((إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ))(١)

فقال له ابنه:

((يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ))(٢)

وفي شأن الرسول محمد ﷺ روت كتب السنة قول عائشة - رضي الله عنها -: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ: الرؤيا الصادقة.

٢- ومن هذه الطرق أن ينفث في روعه الكلام نفثا كما قال - عليه الصلاة والسلام -:

«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»(٣)

وقد قال كثير من المفسرين في معنى قول الله سبحانه:

((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا))(٤)

قالوا: أن ينفث في روعه بالوحي.

٣- ومن طرق الوحي: أن يأتي الوحي الرسول في مثل صلصلة الجرس وهو أشده، وقيل: إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصة؛ فيكون أوعى لما يسمع وأتقن لما يلقى.

---

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات.

(٢) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات.

(٣) انظر سنن ابن ماجه: التجارات.

(٤) من الآية ٥١ من سورة الشورى.

وقد سئل ﷺ عن الوحي فقال ـ كما في البخاري: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول».

٤- ومن طرق الوحي ـ كما جاء في هذا الحديث ـ أن يتمثل الملك رجلا فقد كان هذا الملك يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية بن خليفة أجمل الرجال في هذا الوقت حتى أن أحد العلماء فسر اللهو في قول الله تعالى:

((وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا))(١)

قال ابن سلام: كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله أو لفرط جماله.

٥- ومن طرق الوحي أن يظهر جبريل عليه السلام للرسول ﷺ في صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح..

٦- ومن طرق الوحي: أن يكلم الله الرسول من وراء حجاب: إما في اليقظة كما حدث في ليلة الإسراء على ما تدل عليه الأحاديث الصحاح.

وإما في النوم كما في حديث معاذ بن جبل الذي رواه الترمذي في أبواب التفسير قال: «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعا فثوّب الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته (أي تخفف) فلما سلم دعا بصوته قال لنا: على مصافكم كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أمَّا إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت، وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي ـ تبارك وتعالى ـ في أحسن صورة. فقال: يا محمد قلت: لبيكْ رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري ـ قالها ثلاثا ـ قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثَدْيَيّ فتجلى لي كل شيء وعرفت. فقال: يا

(١) من الآية ١١ من سورة الجمعة.

محمد، قلت: لبيك رب: قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات.

قال: فيم؟ قلت: في إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام.. قال: سل، قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني. وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون. أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك..

قال رسول الله ﷺ : «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها..» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح: سألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح..

وقد علق القاضي أبوبكر بن العربي المالكي في شرحه لهذا الحديث بما موجزه:

أولا: إن قول الرسول ﷺ : أتاني ربي: بأن إتيان الله أو مجيئه فعل من الأفعال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة لا يقوم بذات الله سبحانه، وإنما هي أفعال في غيره.

ثانيا: قوله: في أحسن صورة: أي أن الرسول ﷺ كان في أفضل حال باعتبار ذلك كان رؤيا. كما جاء في الرواية عن معاذ: «نعست في صلاتي فاستثقلت» ثم ذكر الرؤيا وفي رواية ابن عباس لذات الحديث «أحسبه في المنام....».

ثالثا: في رواية ابن عباس: فوضع يده، وفي رواية معاذ: فوضع كفه، ومؤدى العبارتين واحد إذ تؤديان إلى أن الله قد ألقى في قلب الرسول ﷺ مما عنده من الخير والعلم مما شاء ليبلغه لأمته.

رابعا: قوله: «وإذا أردت بعبادك فتنة أو بقوم» ديل على أن كل خير أو شر أو طاعة أو فتنة لا يكون شيء من ذلك إلا بإرادة الله سبحانه.

خامسا: قوله «فاقبضني إليك غير مفتون».

المعلوم أن النبي ﷺ قد أطلعه الله على عاقبته، وتحقق سلامته من البدع والباطل، وأنه في الفردوس الأعلى معصوم من النار، ولكنه مع هذا كان يدعو للنجاة من ذلك كله كما يدعو لسواه، وتعليما لأمته أن تسلك مسلكه.

سادسا: معنى اختصام الملأ الأعلى: هو حوارهم في هذه المعاني واجتهادهم في تحصيلها، وهذا يدل على جواز الاجتهاد في الأمور والأحكام التي لا نص فيها، إذ لو كان نص لرفع الخلاف. والحوار بين الملائكة وبين الناس، ولكن النصوص جاءت محتملة العبارات فاختلف في فهمها الملائكة كما اختلف الناس، ومن ثم كان الاجتهاد أصلا من الأصول في الإسلام..

الاستعاذة بالله عند تلاوة القرآن

ولأن القرآن كلام رب العالمين كان لتلاوته آداب وأحكام ومن الآداب التي وجهنا الله سبحانه إلى الالتزام بها: الاستعاذة به كما في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]

ومعنى الاستعاذة في كلام العرب: الالتجاء والاستجارة بالغير طلبا للحماية من الشرور. يقال: عذت بفلان، واستعذت به: أي لجأت إليه. فالعياذ لدفع الشر، أما اللواذ فلطلب الخير فالاستعاذة بالله التجاء إليه سبحانه واستغاثة برحمته، فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي أستجير بالله من الشيطان أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل، أو قول أمر الله به، أو يحثني على فعل أو قول نهى الله عنه.

والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تارة تكون من شيء واقع له شر مستقبل، وتارة تكون من شيء لم يحصل بعد:

وهذا كقول الإنسان: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن.. أما الاستعاذة مما وقع ـ وله شر مستقبل ـ فنحو ما علمنا الله في قوله تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[2]

وقول الله:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ٩٨ من سورة البقرة.

(٢) الآيتان ١٩٩، ٢٠٠ من سورة الأعراف.

(٣) الآيات ٩٦ : ٩٨ من سورة المؤمنون.

وقول الله:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

ومن هذا التوجيه الصادر من رب العالمين يظهر أن الشيطان شرير بطبعه، ولا يكفه إلا الله الذي خلقه، أما شياطين الإنس فإن الله سبحانه أوصى في شأنهم بقوله:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[2]

فالاستعاذة بالله تكون في مواجهة شياطين الإنس والجن، وشرور النفس على حد سواء:

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[3]

فيدخل في الاستعاذة بالله وسوسة نفس الإنسان له، ووسوسة غيره له..

نسأل الله أن يحفظنا من شر عذاب القبر، ووسوسة الصدر وشتات الأمر، وشر كل ذي شر..

١- حكم الاستعاذة وحكمتها

اتفق علماء المسلمين على مشروعية الاستعاذة بالله من الشيطان لقراءة القرآن نزولا عند قول الله سبحانه:

---

(١) الآية ٣٦ سورة فصلت.

(٢) الآيات ٣٣ : ٣٥ من سورة فصلت.

(٣) الآيات ٤ : ٦ من سورة الناس.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]

وصورتها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والشيطان مشتق من (شطن) إذا بعد، فهو بعيد بفسقه عن الخير، وسمي بذلك لبعده عن الصلاح..

والرجيم: المرجوم؛ لأنه يُرْجَم بالنجوم عند استراقه السمع كما قال الله تعالى:

((وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ))[2]

يعني الكواكب.

وقيل الرجيم باللعنة والمقت وعدم الرحمة.

وقيل: الراجم؛ أي لأنه يرجم غيره بالإغراء.

واسم الشيطان ليس مختصا بالجن؛ بل يطلق على الإنس كما في قول الله تعالى:

((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ))[3]

ولقد صح ابتداء القراء جيلا بعد جيل بالتعوذ قبل قراءة القرآن:

وحكمة ذلك من وجوه:

الأول: أن القرآن شفاء لما في الصدور، ومذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الشهوات والوساوس والإرادات الفاسدة؛ فهو دواء شاف بإذن الله لآثار جولات الشيطان مع الإنسان، فأمر القارىء أن يطرد مادة الداء فيخلو منه القلب ليصادف الدواء محلا خاليا فيؤثر فيه، فتكون الاستعاذة حينئذٍ لأجل حصول فائدة القرآن.

---

(١) الآية ٩٨ من سورة النحل.

(٢) من الآية ٥ من سورة الملك.

(٣) من الآية ١١٢ من سورة الأنعام.

الثاني: أن القرآن مادة الخير والهدى في القلب، والأمر بالاستعاذة لأجل استبقاء فائدة القرآن مقاومة لما يحاوله الشيطان من الفساد والإفساد.

الثالث: أن الملائكة تدنو للقراءة وتسمعها كما في حديث أسيد بن خضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها المصابيح فقال النبي ﷺ: تلك الملائكة.[1] والشيطان ضد الملك وعدوه فيناسب أن يطلب القارىء بُعْد عدوه عنه حتى تحضره الملائكة..

الرابع: أن الشيطان يشغل قارىء القرآن عن التدبر والفهم لآياته ليباعد بينه وبين الخير الذي يبغيه من تلاوة القرآن، فأمر أن يستعيذ بالله منه، فهو القاهر فوق الخلق، حتى ينجو قارىء القرآن المستعيذ بالله من وعيد الشيطان الذي صرح به كما حكى القرآن:

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2]

الخامس: أن الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان عندما يعزم على الخير فيدخل في طريقه، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله كان تعرض الشيطان له أكثر..

---

(١) انظر صحيح البخاري: فضائل القرآن.

(٢) الآيات ٦٢ : ٦٥ من سورة الإسراء.

وقد نقل عن مجاهد قوله:

(ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عددهم). فكان توجيه الله لقارىء القرآن بأن يواجه عدوه ويقطع عليه الطريق بالاستعاذة بالله منه أولاً ثم يواصل طريق الخير والبر الذي يبتغيه..

فالاستعاذة وإن جاء شرعها عند البدء في تلاوة القرآن، لكنها ليست مشروعة في هذا الموضع فحسب، وإنما تكون كذلك تعوذا من جميع المنهيات والمحظورات من العقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة مما ورد عنه النهي في المصادر الإسلامية القرآن والسنة والإجماع والقياس.

٢- الاستعاذة من الشيطان

عداوة الشيطان للنوع الإنساني وتربصه به للإغواء والإضلال هي مهمته وشغله الشاغل؛ فقد توعدهم بذلك كما حكى القرآن في قول الله سبحانه:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(١)]

فالشيطان ـ بمقتضى هذا القسم ـ دءوب على متابعة الإنسان وترصده في كل حركاته وسكناته حتى يزين له باب الحرام بالمعاصي والشهوات، وسوء الظن والهوى، والغضب والحسد والحرص والنساء. فإن لم يفلح ـ وتأبى عليه إفساد الإنسان من هذا الباب ـ دخل إليه من باب الحلال بإثارة الشبه في أهل الطاعة والتشكيك في إخلاصهم تنفيرا من الاقتداء بهم، ومن احتقار العصاة وبعض الفساق. لا لفسقهم ولكن لأشخاصهم، ومع التعليق بالأمل لا بالعمل. ومن هذا الباب يدخل الشيطان على العباد والزهاد.

وقد أخبر المصطفى ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه[(٢)] قال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عنده طعامه».

(١) الآيتان ٨٢، ٨٣ من سورة ص.

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الأشربة صـ ١٣٥

وفي مواجهة هذا أرشدنا الله سبحانه في القرآن الكريم إلى الاستعاذة من الشيطان على وجه أعم وأشمل، ذلك قول الله ـ تعالى ـ في سورة الأعراف:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(١)

وفي سورة المؤمنون:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾(٢)

وفي سورة فصلت:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣)

ففي هذه الآيات أمر الله بمصانعة شيطان الإنس والإحسان إليه ليرده إلى طبيعة الولاء والصفاء، أما شيطان الجن فالاستعاذة بالله هي سلاح المؤمن إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا فهو عدو لبني آدم كما حكى الله في سورة الأعراف حواره مع آدم وحواء فقال:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(٤)

---

(١) الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف.
(٢) الآيتان ٩٧، ٩٨ من سورة المؤمنون.
(٣) الآية ٣٦ سورة فصلت.
(٤) الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة الأعراف.

والاستعاذة بالله من الشيطان تكون في حالين:

أحدهما: من الهمز، والآخر: من قرب الشيطان ودنوه من الإنسان حفظا له من المس على ما جاء في آيتي سورة المؤمنون:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾(١)

ويدل على هذا ما جاء في مسند الإمام أحمد من أن رسول الله ﷺ كان يعلم أصحابه كلمات يقولونها عند النوم:

«بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون».

وروي أن خالد بن الوليد أصابه أرق فعلَّمه رسول الله ﷺ «أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون».

ومعنى همزات الشياطين: دفعهم الوسواس في النفوس والإغواء إلى القلب.

وأصل الهمز: الدفع، وهو هنا دفع خاص غير محسوس ولا منظور..

ومعنى ـ يحضرون: يقربون.

أي أعوذ بالله من الشيطان أن يمسني أو يقرب مني. ولما كانت هذه الوسوسة كبيرة وواسعة اختلف العلماء في صيغة الاستعاذة: فقال جماعة: إنها تكون بعبارة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

وهذا هو الموافق لظاهر الآية:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾(٢)

---

(١) الآيتان ٩٧، ٩٨ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٩٨ من سورة النحل.

وهذا هو ما لزمه جمهور قراء القرآن الكريم في سائر الأمصار وجرى عليه العمل في جميع الأقطار..

وقال بعض العلماء: إن الاستعاذة تكون بصيغة:

(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم).. وهذا ثابت عن الرسول ﷺ من حديث أبي سعيد الذي رواه الترمذي وغيره:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم. وهذه الصيغة تناسب ما جاء في آية سورة فصلت:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

فقد جاء بها بعد الأمر بالاستعاذة بالله وصفه سبحانه بأنه:

((إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ))[2]

وهي جملة مستقلة مؤكدة.

ونقل عن فريق آخر من العلماء أن صيغة الاستعاذة بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم.

وعن فريق رابع من العلماء أن الصيغة هي:

اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

ويدل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده، وأخرجه أصحاب السنن الأربعة من أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل استفتح صلاته بالتكبير والثناء ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

---

(١) الآية ٣٦ من سورة فصلت.

(٢) من الآية ٣٦ من سورة فصلت.

وأياً ما كانت صيغة الاستعاذة كانت مفيدة ومقبولة - إن شاء الله - لأن المنقول الثابت هو مطلق الاستعاذة من الشيطان الرجيم، لكن الأولى الاقتصار على اللفظ الذي يؤيده القرآن وهو:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إذ يشير إليه قول الله سبحانه:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[١]

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣- مواطن الاستعاذة

شرع الله للمسلمين الاستعاذة به من الشيطان الرجيم في عدة مواطن:

الأول: عند قراءة القرآن نزولا على قول الله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[٢]

والمعنى: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، فالاستعاذة قبل القراءة وهذا ما عليه جمهور العلماء، على مثال قول الله تعالى:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ))[٣]

أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة.

ولا يعتد بقول من قال: إن الاستعاذة تكون بعد القراءة.

---

(١) الآيات ٩٨ : ١٠٠ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٩٨ من سورة النحل.

(٣) من الآية ٦ من سورة المائدة.

الثاني: عند الغضب؛ فقد ثبت أن رجلين اختصما عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما حتى احمر وجهه فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد:....... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. متفق عليه..

ومن ثم يعتبر الغضب من أسباب الشر، فيستعاذ بالله عند حدوثه.

الثالث: عند دخول الخلاء بالإجماع من الأئمة، فقد ثبت في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، قال الإمام أحمد بن حنبل ـ في رواية أبي طالب: وما دخلت قط ولم أقله إلا أصابني ما أكره.

والخبث ـ بضمتين ـ جمع خبيث، وهو الذكر من الشياطين، والخبائث: جمع خبيثة وهي الأنثى منهم.

فالاستعاذة من ذكران الشياطين ومن إناثهم، وقد يتساءل أحد فيقول: إن رسول الله ﷺ كان معصوما من الشياطين، ومن مردة الجن، ومن كل طارق شر، بل ومن الناس، كما قال الله:

((وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ))[1]

فلم كان يواظب على الاستعاذة عند دخول الخلاء؟

والجواب أن استعاذته ﷺ في هذا الموطن وغيره واستمرار محافظته عليها ـ والله أعلم ـ كان لأمرين:

أحدهما: لزوم الخضوع لله سبحانه، واستدامة الرجوع إليه وإظهار الافتقار إلى حفظه وعصمته، وهذا على نحو ما رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما من أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى ـ قام حتى تتورم قدماه فقيل له: أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال ﷺ: أفلا أكون عبداً شكوراً.

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الأمر الآخر:

أنه ﷺ كان يواظب على الاستعاذة عند دخول الخلاء تشريعا وتعليمًا للأمة حتى تتعلم هذه الآداب وتعمل بها.

الموطن الرابع:

من المواطن التي تشرع فيها الاستعاذة: الوسوسة المستمرة أو المتسلسلة خصوصا في العقائد.

فقد ثبت في الحديث الصحيح: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؛ فإذا بلغه، فليستعذ بالله ولينته».

إذ التفكر في خلق الله ونعمه وأفضاله توحيد وشكر. أما التفكر في ذات الله العلي الأعلى الكريم فإلحاد وضلال.

هذا: والشيطان يسلك كل السبل المؤدية إلى إفساد قلب المؤمن طلبًا إلى إفساد عبادته وعلمه، فيوسوس له في صلاته ليشغله عن الخشوع والخضوع لربه، ويقف له في كل طريق خير يسلكه ليصرفه عنه، فإذا ابتلي المسلم بذلك فعليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

الملائكة ـ الشياطين ـ الجن

وقد تحدثنا عن الاستعاذة بالله ـ حكمها وحكمتها ومواطنها.. نتعرف على هذه المسميات التي نستعيذ بالله منها، وعلى تلك التي خلقها الله عونا لبني الإنسان على الخير، ولنبدأ بهذه الأخيرة.

الملائكة:

أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة شأنها الطاعات، ومسكنها السماوات.

هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه، وأمناؤه على وحيه قال الله سبحانه في شأنهم وتعريفا بوظائفهم:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

وقال:

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]

وقال:

((لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))[3]

وقال:

((وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ))[4]

---

(١) الآية ١٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٢٠ سورة الأنبياء.

(٣) من الآية ٦ من سورة التحريم.

(٤) من الآية ٥ من سورة الشورى.

وقال:

((وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ))[1]

وقال:

((وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ))[2]

وقال:

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ ﴾[3]

وقال:

((يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا))[4]

وقال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ ﴾[5]

ومن وظائف الملائكة: أن منهم رسلاً إلى خواص البشر مبشرين بنعم الله..

قال تعالى:

((فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ))[6]

وقال:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ﴾[7]

---

(١) من الآية ٧٥ سورة الزمر.

(٢) من الآية ١٧ من سورة الحاقة.

(٣) الآيات من ١ : ٤ من سورة الصافات.

(٤) من الآية ٣٨ من سورة النبأ.

(٥) الآية ٢٢ من سورة الفجر.

(٦) من الآية ٣٩ من سورة آل عمران.

(٧) الآيتان ٤٢، ٤٣ من سورة آل عمران.

وجعل الله منهم رسلا مبشرين ومنذرين متشكلين بشكل الإنسان. قال الله تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]

وقال:

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[2]

كما بعث الله ملكين في صورة خصمين آدميين يحتكمان إلى نبي الله داود فقال سبحانه:

---

(١) الآيات ٢٤ : ٣٤ من سورة الذاريات.

(٢) الآيات من ١٧ : ١٩ من سورة مريم.

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]

وهم حفظة لبني آدم وكتبة لأعمالهم قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]

ومنهم الموكلون بقبض أرواح المخلوقات قال الله سبحانه:

((إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ))[3]

وقال تعالى:

((وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ))[4]

وقال:

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾[5]

---

(١) الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة ص.

(٢) الآيات ١٠ : ١٢ من سورة الانفطار.

(٣) من الآية ٩٧ من سورة النساء.

(٤) الآية ٩٣ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ١١ من سورة السجدة.

ومنهم خزنة الجنة قال تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]

ومنهم خزنة لجنهم: قال الله تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[2]

وقال تعالى:

((عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))[3]

ومن الملائكة من كانوا مقاتلين مدداً للمسلمين. في غزوة بدر الكبرى قال تعالى:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4]

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الزمر.

(٢) الآية ٧١ من سورة الزمر.

(٣) من الآية ٦ من سورة التحريم.

(٤) الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ من سورة آل عمران.

الجن:

أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر منها أفعال غريبة وعجيبة..

منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي - فيهم نزل قرآن. سورة مخصوصة هي سورة (الجن) وأخبر الله فيها أن منهم مؤمنين موحدين ومنهم مشركين ومنهم من يصعد إلى السماء يسترق السمع من الملائكة فترميهم بالشهب:

﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾[1]

وسماهم القرآن رجالا فقال الله تعالى:

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[2]

ولقد قرنهم الله في النداء والخطاب مع الإنس في آيات كثيرة منها تكرار:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

في سورة (الرحمن) في نحو ثلاثين موضعا، وفيها:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[3]

وفيها:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[4]

---

(١) من الآية ٨ من سورة الصافات.
(٢) الآية ٦ من سورة الجن.
(٣) الآية ٣١ من سورة الرحمن.
(٤) الآية ٣٣ من سورة الرحمن.

وسخرهم الله لسليمان – عليه السلام – قال تعالى:

((وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ))[1]

وهؤلاء الجن أمم قال تعالى:

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾[2]

وقال:

((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ))[3]

ولقد أرسلت إليهم رسل: قال تعالى:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾[4]

---

(١) من الآيتين ١٢ ، ١٣ من سورة سبأ.
(٢) من الآية ٣٨ من سورة الأعراف.
(٣) من الآية ١٧٩ من سورة الأعراف.
(٤) الآية ١٣٠ من سورة الأنعام.

وفي شأن إعجاز القرآن قال الله سبحانه:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1]

وفي شأن استخدام نبي الله سليمان للجن تسخيرا من الله وعدم علمهم الغيب قال الله سبحانه:

((وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ))[2]

وقوله تعالى:

((يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ))[3]

وقوله سبحانه:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[4]

وفي شأن استماعهم للقرآن من رسول الله ﷺ قال الله:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا

---

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

(٢) من الآية ١٢ من سورة سبأ.

(٣) من الآية ١٣ من سورة سبأ.

(٤) الآية ١٤ من سورة سبأ.

أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾(1)

وقال سبحانه في هذا الشأن أيضا:

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ ﴾(2)

إلى أن قال الله:

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾(3)

---

(1) الآيات ٢٩ : ٣٢ من سورة الأحقاف.

(2) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الجن.

(3) الآيات من ١٢ : ١٦ من سورة الجن.

الشياطين:

أجسام نارية شأنها الغواية والإفساد تذكر بالمعاصي وبأسبابها، وتنسي الطاعات، وتصرف عنها قال الله ـ سبحانه ـ حكاية عن الشيطان:

((وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ))[1]

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾[2]

وقال تعالى:

((وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا))[3]

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٤٨ من سورة الأنفال.

(٣) من الآيتين ١١٩ ، ١٢٠ من سورة النساء.

وقال:

((إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))[١]

وقال:

((وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ))[٢]

وقال:

((ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ))[٣]

وقال:

((وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ))[٤]

وقال:

((وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ))[٥]

وقال:

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾[٦]

وقصة آدم وإبليس واستكبار هذا عن السجود لآدم، واعتذاره بأقبح جواب حين قال:

((أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ))[٧]

---

(١) من الآية ٥ من سورة يوسف.

(٢) من الآية ٢٤ من سورة النمل.

(٣) الآية ١٩ سورة المجادلة.

(٤) من الآية ٥ من سورة الملك.

(٥) من الآية ١١٢ من سورة الأنعام.

(٦) الآية ٣٦ من سورة االزخرف.

(٧) من الآية ١٢ من سورة الأعراف.

وحلفه لآدم وحواء كاذبًا، وهو أول من حلف كاذبًا متعمدًا، وأول متكبر وأول حاسد، وأول معجب بنفسه. كل هذا تحدثت عنه آيات القرآن في أكثر من موضع.

فكل من اتصف بواحدة من صفاته الذميمة فهو مقتد بالشيطان عاص للرحمن.

هذه بعض النصوص من القرآن وأمثالها في السنة النبوية الصحيحة كثيرة، وهي جميعا لا تفصل علم حقيقة هذه المخلوقات ـ الملائكة ـ الجن ـ الشيطان. فهي من المغيبات التي لا سبيل للعلم بها إلا بالنقل.

ولقد نقل العلامة السعد في شرح (كتاب المقاصد) «.... والقول بوجود الملائكة والشياطين مما انعقد عليه الآراء، ونطق به كلام الله تعالى، وكلام الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وحكي مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء، فلا وجه لنفيها كما لا سبيل إلى إثباتها بالأدلة العقلية».

فإذا جاء بعض المتفلسفة وأنكروا هذه المخلوقات التي وجهنا الله إلى الاستعاذة به من أهل الشرور منها، وإلى أن منها الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن الجن منهم المؤمن والفاسق والبار والفاجر...

فإنا نحن المسلمين نؤمن بالله القادر على كل شيء إيمانا صادقا وأنه سبحانه قد أخبرنا في القرآن الكريم. وعلى لسان رسوله محمد ﷺ أنه خلق أجسامًا نورانية تسمى الملائكة قادرة بما أودعه الله فيها من قوى على التشكل، وعلى قطع المسافات في مدة قصيرة، وقد تمر أمامنا ولا نراها، وتصاحبنا ولا نشعر بها وتفعل أفعالا يعجز عنها البشر.

كما أنه سبحانه خلق أجساما أخرى تشابه الملائكة في بعض الخواص كالقدرة على التشكل والاحتجاب عن الأبصار والإتيان بأفعال عظيمة معجزة

للبشر ولكنها ليست نورانية وتسمى جنا وشياطين، كونها الله على كيفية تجعلها صالحة لخواصها ووظائفها التي خلقت من أجلها.

وعدم رؤيتنا لهذه المخلوقات الغيبية لا ينفي وجودها وقيامها بوظائفها؛ فهذا الهواء موجود ولا نراه، وهذه الروائح موجودة ونشمها ولا نراها أو نلمسها، وهذه الكهرباء ننتفع بها قوة محركة وضوءاً منيراً ولا نرى مادتها ومسها عدم أو حريق، وفيما وصل إليه الإنسان من علوم (علَّم الإنسان ما لم يعلم) ما يقرب فهم تشكل الأجسام، وتعدد القوى وتعاظمها وتفاوتها في الخصائص آية من آيات الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فإذا أوضح لنا سبحانه طريق الوقاية من شر ما خلق بالاستعاذة به كان علينا أن نحتمي بحماه، ونلوذ به نسترحمه ونطلب الخير في الدين والدنيا، ونحيي مواسم طاعته.

بما فرض فيها من عبادات، شكرا لنعمائه، واستزادة من أفضاله وصدق الله في وعده:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1]

(١) الآية ٩٦ من سورة الأعراف.

حيل الشيطان وفتنه

هذا الإنسان قد خلقه الله، وفي تكوينه الشهوة والهوى ليجتلب بهما ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، ومنحه العقل كالمؤدب يأمره بالعدل بين ما يجتلب وما يجتنب، وخلق الشيطان مناوئا له ومحرضا لغرائزه.

ولقد استعلن هذا الشيطان بعداوته لآدم وذريته فزين لهم الغواية.

((ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ))[١]

((وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا))[٢]

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[٣]

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[٤]

((ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ))[٥]

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٦]

---

(١) من الآية ٢٦٨ من سورة البقرة.
(٢) من الآية ٦٠ من سورة النساء.
(٣) الآية ٩١ من سورة المائدة.
(٤) الآية ٦ من سورة فاطر.
(٥) من الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.
(٦) الآية ٦٠ من سورة يس.

((وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ))(١)

وروى البخاري عن جابر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا «إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم» أي أنه بعد أن يئس من اتباعهم إياه عمل ويعمل على إشعال الخصومات والشحناء والفتن فيما بينهم.

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما روي في الصحيحين عن رسول الله ﷺ. ومعناه أنه يتسلط على الإنسان فيقذف في قلبه الشر ويغريه بتنفيذه.

وهذا الحديث يرشد المسلم إلى أن يحذر المكروه من الظنون التي تخطر على القلوب.

((إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ))(٢)

ومن هنا كان على المسلمين أن يحاذروا من الوقوع في تلبيس إبليس وأعوانه من شياطين الإنس الذين نشروا أولويتهم يضلون الناس عن دينهم بما يذيعون وينشرون من فكر ضار، ومماراة في الحق.

هؤلاء الذين يمارون في كل شيء، ويسخرون من كل شيء دون أن يعلموا النظر الصحيح والفكر الراجح أولئك يجب الحذر من اتباع أقوالهم وآرائهم، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت الأرض، حيث لم يعودوا يميزون الخبيث من الطيب، هوايتهم أن تذوب الأمة في عادات وأعراف وأيام أمم أخرى، وتفقد هويتها وسماتها.

إنهم يصنعون ـ بما ينشرون ويبشرون ـ ما صنعه أمثالهم في عهد الرسالة مما وصفه الله في القرآن في قوله تعالى:

---

(١) من الآية ٥ من سورة فاطر.
(٢) من الآية ١٢ من سورة الحجرات.

فضل بسم الله الرحمن الرحيم

روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ عن (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال:

هو اسم من أسماء الله..

وقد اتفقت الأمة على جواز كتابتها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل.. وندب الشرع إلى ذكر (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل فعل أو قول..

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لربيبه عُمر بن أبي سلمة «قل: باسم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك»..

ونقل أن رسول الله ﷺ كان يفتتح كتبه وخطبه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)..

الله:

علم على الرب ـ تبارك وتعالى ـ ويقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال الله سبحانه:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

---

(١) الآيات ٢٢ : ٢٤ من سورة الحشر.

و(الله) اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى، ومن ثم لم يعرف في كلام العرب له اشتقاق، وقال أكثر الأصوليين والفقهاء والخليل وسيبويه: إنه اسم غير مشتق البتة، أما بقية الأسماء الحسنى فتذكر صفات له:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[1]

وتشير هذه الآية إلى أن هذين الاسمين لم يسم بهما غير الله سبحانه.

ومعنى: بسم الله: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته وهذا تعليم من الله تعالى لعباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة والكتابة وغيرها:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[2]

وروى الدار قطني عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مس طهوره (أي ماء الوضوء) سمى الله تعالى ثم يفرغ الماء على يديه».

وفي القرآن:

((فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ))[3]

وفيه: ((وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ))[4]

وفي الحديث «كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم». أي لا خير فيه ولا بركة.

وفي رواية أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر». أي ناقص.

---

(١) الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ١ من سورة العلق.

(٣) من الآية ١١٨ من سورة الأنعام.

(٤) من الآية ٤١ من سورة هود.

ولا شك أن في افتتاح القرآن الكريم بهذه الكلمة المباركة إرشاد للمسلمين حتى نفتتح بها أعمالنا وأقوالنا، أي أنها مطلوبة لذاتها.

التسمية صارت شعاراً للمسلمين:

نعم، لقد صارت شعارا للمسلمين وسمة لهم، إذ يقصد بها إبراز التبري من الحول والقوة، وليس معني هذا أن المسلم عندما يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) يتجرد من حوله وقوته، ويلقي بنفسه مع المصادفات دون تفكير. فيما أقدم عليه من عمل أو قول، ودون بذل أي جهد كما يردد بعض الذين لم تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، فذهبوا يشيعون أن الإسلام ـ بمثل هذا الأسلوب ـ يربي في أتباعه روح الاستكانة والضعف والاعتماد على القوى الغيبية المجهولة.! من قالوا بهذا وسهوا عن ابتداء الأعمال والأقوال بالبسملة قد أخطأوا، وحرفوا الكلم عن مواضعه؛ إذ المعنى عند البسملة ـ والله أعلم ـ أن كل عمل أو قول يصدر عن المسلم إنما هو باسم الله تعالى حيث منه تستمد القوة ويُرجى الإحسان.

ولقد غفل أولئك الداعون إلى إغفال هذا الشعار، بل وإلى إهدار سمة من أخص السمات للمسلمين غفلوا عن أن الإنسان في نظر الإسلام خليفة الله في الأرض: يعمل ويجهد نفسه، ويتصرف وينظم حياته، ويكلف ويحاسب من الله، وهذا يعطي ـ دون شك ـ أن الإسلام لا يعطل القوى الإنسانية ولا يهملها، اعتمادا على اللجوء إلى الله. وكيف هذا: وآليات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ حثت على العمل والإنتاج كما حثت على العبادة، وفي البسملة أي: (بسم الله الرحمن الرحيم): دلالة صريحة على أن للإنسان عملاً أساسيا. وأنه إنما يقوم بعمله بأمر الله وتوفيقه، وأنه لولا الله لعجز الإنسان عن القيام بأي عمل، فالله هو الذي خلق الإنسان، وأودع فيه قوى الفكر والعمل ففي القرآن الكريم قول الله:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1]

وقوله سبحانه:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[2]

نعم:

الله هو الذي أمد الناس والكون برحمته، ولو تخلت رحمة الله لحظة لما كان هذا الكون ولما كان الإنسان.

فلنحرص ـ نحن المسلمين ـ على هذه السمة، وهذا الشعار الذي اختص الله به المسلمين طلبًا لتوفيقه وابتغاءً لمرضاته، وانقيادا لأمره وإمضاء لسنة رسوله ﷺ.

((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ))[3]

هذا: ولا ينبغي أن يماري أحد في العمل بهذه السنة ورفع هذا الشعار أو يصد عنه، بعد أن ثبت حرص الرسول ﷺ على استدامة العمل به (بسم الله الرحمن الرحيم). فقد توالت الأخبار المروية على استقرار افتتاح كل عمل وكل قول (بسم الله الرحمن الرحيم). فاحرصروا أيها الناس عليها، وافتتحوا بها كل قول وكل عمل مشروع إنها ذكر الله تبارك وتعالى.

((وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ))[4]

إن المسلم حين يقدم على عمل أو قول يرضي الله ـ سبحانه ويبدؤه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) تقوى بها روحه على العمل أو القول الخير، وتنصرف نفسه عن عمل أو قول الشر. وهذا أسمى شعار، ومن أهم سمات الأمة المسلمة.

---

(١) الآية ٩٦ من سورة الصافات.
(٢) الآية ٧٨ من سورة النحل.
(٣) من الآية ٢١ من سورة الأحزاب.
(٤) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

الأسماء وأدب التسمية في القرآن

وقد تحدثنا عن البسملة بمعنى قول المسلم عند الشروع في عمل أو قول مفيد: (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضح أن هذا القول شعار وسمة ينبغي الاستمرار على إعلانه، وفيه استفتاح بثلاثة من أسماء الله الحسنى: الله ـ الرحمن ـ الرحيم.

وهذا يدعونا إلى أن نتحدث عن الأسماء وأدب التسمية في القرآن والسنة.. ولقد أشار قول الله سبحانه في سورة البقرة:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

والاسم: ما يعرف به الشيء، أو ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. ثم إن دل على معنى يقوم بذاته فاسم (عين)، وإلا فاسم (معنى) سواء كان وجوديا كالعلم أم عدميا كالجهل.

ولأن الاسم: هو ما يعرف به ذات الشيء وتتميز كانت أهميته التي تحدث عنها الترمذي فقال: (الاسم هو السمة.. وكأنما سمي اسما لأنه يضيء لك عن لب الشيء، ويترجم عن مكنونه وليس شيء إلا وقد وسمه الله باسم يدل على ما فيه من الجوهر فاحتوت الأسماء على جميع العلم بالأشياء؛ فعلمها الله آدم ـ عليه السلام ـ وأبرز أفضليته في العلم على الملائكة.

ثم قال للملائكة:

---

(١) الآيات ٣١ : ٣٣ من سورة البقرة.

((أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ))[١] فأبان فضله في العلم عليهم.

وقد اختلف في الأسماء التي علمها الله آدم، والتي احتوت جميع العلم بالأشياء:

نقل عن ابن عباس: أنها أسماء ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

وقيل: إنها أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات.

وقيل: إن الأسماء التي علمها الله آدم هي الألفاظ والمعاني مفردة ومركبة، بما يشمل الاسم والفعل والحرف.

وبذلك يصير معنى قول الله سبحانه (وعلم آدم الأسماء كلها) ـ والله أعلم ـ أي علمه الأنواع الثلاثة المصطلح عليها وصور المسميات بذواتها.

أحسن الأسماء:

تلك هي أسماء الله الحسنى لقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[٢]

وقوله سبحانه:

((وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ))[٣]

---

(١) من الآيات ٣١ : ٣٣ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٨ من سورة طه.

(٣) من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف.

ومعنى هذه الآيات أن أسماء الله هي أحسن الأسماء وأجلها. ومن ثم كان من الأدب أن ندعو الله سبحانه بأسمائه الحسنى، لا بما قاله الملحدون المنحرفون، حيث نقل عن بعض المفسرين في معنى قوله تعالى:

((وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ))(١)

إن الملحدين اشتقوا من لفظ الله اللات كما اشتقوا العزى من (العزيز).

كذلك نقل أن الإلحاد في أسماء الله هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها كتسميتهم اللات من (الله) والعزى من (العزيز)، والصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة حيث عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، وكإطلاق اسم الأب على الله فإنه إطلاق ما لا يليق بجلال الله، وكإطلاق الفلاسفة تسمية الله بأنه موجب لذاته، أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك مما قاله الملاحدة والماديون وغيرهم.

وكما علمنا الله أسماءه الحسنى، علمنا أن نعبده بذكر اسمه حسبما يقتضيه قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾(٢)

وقوله سبحانه:

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾(٣)

وقوله:

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾(٤)

وعلمنا التماس بركته سبحانه بذكر اسمه سبحانه عند الشروع في الأعمال كما يقتضيه قول الله تعالى:

---

(١) من الآية ١٨٠ سورة الأعراف.
(٢) الآية ٨ سورة المزمل.
(٣) الآية ٢٥ سورة الإنسان.
(٤) الآية ٧٤ سورة الواقعة.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾[1]

وقوله:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾[2]

وقوله:

((فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ))[3]

وقوله:

((فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ))[4]

وقوله:

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ ﴾[5]

وقوله:

((سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ))[6]

والذكر ـ كما جاء في هذه الايات ـ إنما هو لاسم الله تبارك اسمه. وصيغته في القراءة تكون بالبسملة كاملة؛ لأن هذا هو ما كان ينزل به جبريل ـ عليه السلام ـ مع كل سورة.

ومثل القراءة الكتابة في ذلك كما جاء في سورة النمل:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾[7]

---

(١) الآية ١ من سورة العلق.
(٢) الآية ٣٠ من سورة النمل.
(٣) من الآية ١١٨ من سورة الأنعام.
(٤) من الآية ٤ من سورة المائدة.
(٥) الآية ٤١ سورة هود.
(٦) من الآية ١٣ سورة الزخرف.
(٧) الآية ٣٠ من سورة النمل.

أما ما عدا ذلك فالمستفاد من آية سورة «هود» أنه يكون بسم الله.

وقد ثبت في الصحيح أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال عند الذبح: (بسم الله) وقال أيضا: (بسم الله والله أكبر).

حسن التسمية

ما حسن من الأسماء والصفات يكون بمقدار ما يحويه أو يقتضيه من تبشير أو وعد أو مدح.

ومن هذا القبيل قول الله سبحانه:

﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى ـ ممتنا على المسلمين:

((هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ))[2]

وقول الله حكاية عن عيسى نبي الله ـ عليه السلام ـ:

((وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ))[3]

فهذه الأسماء كلها حسنة؛ لأن الله سبحانه ذكرها في معرض الامتنان والبشرى.

وأما المنكر من التسمية فهو ما أنكره الله، أو نهى عنه، أو نسخه وهذا على أنواع:

١- منها تسمية المشركين لأصنامهم كما في قوله تعالى:

---

(١) الآية ٧ من سورة مريم.

(٢) من الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٣) من الآية ٦ من سورة الصف.

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾(١)

فقد أنكر الله عليهم في هذه الآيات اتخاذ الأصنام، وتسميتها وعبادتها بما يوهم ألوهيتها ونسبتها إلى الله تعالى شأنه.

حيث إنهم قد اشتقوا اللات من (الله) والعزى من (العزيز) وزعموا أنها بنات الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

فأبان الله خطأ معتقدهم، وشناعة صنعهم أن جعلوا لأنفسهم ما يشتهون أي الذكور ولله ما يكرهون ـ أي الإناث.

٢- ومما أنكر الإسلام من الأسماء تسمية المشركين الملائكة كما حكى القرآن في قول الله سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾(٢)

فقد أنكر الله عليهم ما قالوا من أن الملائكة بنات الله. وفي قرن هذه التسمية للملائكة بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة بحيث لا يجترىء عليها إلا من لا يؤمن بها.

---

(١) الآيات ١٩ : ٢٣ من سورة النجم.

(٢) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة النجم.

٣- ومما أنكره القرآن التنابز بالألقاب. وذلك قول الله سبحانه:

((وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ))[١]

والتنابز بالألقاب ـ تفاعل وتناد وتلقيب للغير بما يكره، وبما يتأذى منه لكونه ذمًا وتحقيرًا له، وحطاً من شأنه.

ومعنى قوله تعالى:

((بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ))[٢]

– والله أعلم – بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بأن يذكروا بالفسق بعد الإيمان وهو استقباح للجمع بين الفسق والإيمان إذ لا يجتمعان في المؤمن و«النبز» و«النزب» لقب السوء، والمنهي عنه في الآية هو التلقيب للغير بما يكره.

وهنا ينبغي أن ننبه إلى ما يجري على بعض الألسنة، وفي بعض الصحف والمجلات من إطلاق ألقاب وأسماء على سبيل النقد لبعض الناس (لأشخاصهم أو لآرائهم) على وجه يدعو إلى السخرية بهم، وإلى الحط من شأنهم، وتسفيه آرائهم، لا بالحوار البناء، والحجة المستقيمة استظهاراً لوجه الحق في الأمر المعروض وإنما استثماراً لموهبة في غير ما أنعم الله بها، وتحريضها على إيذاء الغير والإضرار به، وتحقيراً له بين الناس، واستهانة بآراء الغير فيما قد يكون من تخصصهم، مع أن القرآن نهى عن السخرية.

وازدراء الغير سواء كان ذلك قولاً أو رسمًا أو صورةً أو غير هذا من أدوات البيان ذلك قول الله سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ

---

(١) من الآية ١١ من سورة الحجرات.

(٢) من الآية ١١ من سورة الحجرات.

مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1]

فهل لأولئك الذين احترفوا السخرية بالناس وبآرائهم، وهل لأولئك الذين ينعتون مخالفيهم بمالا يرضون لأنفسهم من صفات وأسماء وألقاب أن يحسنوا القول، وأن يراقبوا الله وينفذوا أوامره سبحانه القائل:

((وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ))[2]

نعم: هل لأولئك الذين دأبوا على دعوة الناس إلى الخروج على أحكام الله، وعلى الصد عن سبيل الله، وعلى مقاومة كل دعوة إلى الخير أن يستمعوا إلى قول الله:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]

فهل لنا أن نعي هذه الأمثال، ونأخذ بأدب القرآن وتوجيه الله للناس بأن يتبادلوا أحسن القول. ((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا))[4]

هل لأولئك الذين يوغرون الصدور، ويفترون على الله وعلى الناس أن يكفوا ألسنتهم وأقلامهم طاعةً لربهم، وإصلاحًا لذات البين.

(١) الآية ١١ من سورة الحجرات.
(٢) من الآية ١٥ من سورة النور.
(٣) الآيات ٢٤ : ٢٦ من سورة إبراهيم.
(٤) من الآية ٨٣ من سورة البقرة.

((إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ))[1]

٤- ومن الأسماء المنكرة ما نهى عنه القرآن من التبني على ما يفيده قول الله سبحانه:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[2]

حيث أمر الله برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم ـ إن عرفوا ـ لأن هذا هو العدل والقسط. ولهذا قال الرسول ﷺ لزيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ بعد نزول هذه الآية: «أنت أخونا ومولانا»[3] وذلك بعد أن كان قد تبناه.

هذا: ولا يدخل في حكم هذه الآية ما يقال على سبيل التكريم والتراحم.. ومن ثم فلا حرج أن يقول الرجل لغيره (يا بني) تكريما ومرحمة؛ فقد كان رسول الله ﷺ يقول لخادمه أنس ـ رضي الله عنه ـ : (يا بني)..

٥- ومما أنكره الإسلام دعاء الرسول ﷺ باسمه أو بكنيته مجرداً عن لقب النبوة والرسالة وذلك قول الله سبحانه:

((لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ))[4]

والمعنى ـ والله أعلم ـ لا تنادوا الرسول كما ينادي بعضكم بعضاً، وقد كانوا يتنادون بالاسم أو بالكنية.

---

(١) من الآية ١٩ من سورة الرعد.
(٢) الآية ٥ من سورة الأحزاب.
(٣) صحيح البخاري كتاب الصلح.
(٤) من الآية ٦٣ من سورة النور.

فنهاهم الله ـ عز وجل ـ عن ذلك تكريما وإعظاما للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكأن الآية قد علمت الناس حين ينادون الرسول أن يقولوا: يا نبي الله أو يا رسول الله تعليما لهم، وتأديبا بآداب القرآن، حيث لم يذكر نداء إلى النبي ﷺ في القرآن إلا مسبوقا بلقب التكريم والتعظيم مثل ما في قول الله تعالى:

((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ))(1)

وقوله سبحانه:

((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ))(2)

تنويه:

ذلكم من أدب القرآن في التسمية، وليس استقصاء لما ساقه الله فيه تعليما للمسلمين، وتوجيها لهم. كما ساق فيه العديد والجديد من تسميات للمعاني والأعيان كالإسلام والإيمان، والكفر والشرك والضلال والصلاة والزكاة والآية والسورة، و(يوم الفرقان) اسما ليوم بدر، و(أم القرى) لمكة فهل لنا أن ننحو في التسمية هذا النحو، وأن تكون أسماؤنا وألقابنا دالة علينا وخاصة بنا نحن المسلمين، فلنحسن التسمية والألقاب بما يسر؛ فـ«إن الله كتب الإحسان على كل شيء»(3). كما أخبرنا رسول الله ﷺ

وقد روى البخاري في كتابه «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» وغيره عن حنظلة بن جذيم قال: «كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كُناه».

---

(1) من الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(2) من الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

(3) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم

وهذا يعني أنه إذا تعددت الأسماء أو الكنى للرجل أو للمرأة، وكان بعضها أحب من بعض، كان الأولى أن ينادى على الرجل أو المرأة بالاسم أو باللقب المحبب، واللقب إذا كان يعجب الملقب ولا إهانة فيه أو تحقير مما يدخل في نهي الشرع جائز أو مستحب. ومعنى كلمة: (كان يعجبه) في هذا الأثر: أن ذلك كان شأن الرسول ﷺ في جميع الأحوال والأوقات.. وليس معنى ما جاء في الأثر عبارة (.. أن يدعى الرجل) التخصيص بالرجل في هذا فقط؛ لأن الحكم الشرعي الأصل فيه أن يعم الرجل والمرأة على حد سواء إلا إذا قام دليل على تخصيص أحدهما بالحكم. وظاهر هذا الأثر أن الراوي حدث بواقعة سمعها متعلقة برجل، ذلك لأن نداء المرأة كنداء الرجل ينبغي أن يكون بأحب أسمائها أو ألقابها وأن ذلك كان ما يعجب رسول الله ﷺ بدليل غضبه من عائشة ـ رضي الله عنها ـ حين ذكرت خديجة ـ رضي الله عنها ـ بما يكره من الأوصاف، وغضبه لصفية لما قيل لها: يا يهودية بنت يهوديين، ولا شك أن في تبادل النداء بأحب الأسماء والألقاب بين الناس مزيدا من الألفة والمحبة والتواصل على ما جرت به سنة رسول الله ﷺ.

هل أسماء الله الحسنى محصورة؟

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «.. إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة».

وفي رواية مسلم في صحيحه: «من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر»..

قال النووي في شرح هذا الحديث:

واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ـ سبحانه وتعالى ـ فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين.

وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد (الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها) لا (الإخبار بحصر الأسماء).

ولهذا جاء في الحيث الآخر: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك..»

وأضاف الخطابي: (في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أشهر الأسماء وأبينها. خبر المبتدأ في الحديث هو قوله: (من أحصاها) لا قوله (الله) وهو كقولك: لزيد ألف درهم أعدها للصدقة..

وإحصاء أسماء الله الحسنى الموعود عليه بالثواب في هذا الحديث له معان:

قال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوها:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

ثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة كقوله تعالى:

((عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ))[١]

وحديث: «استقيموا ولن تحصوا»[٢] أي لن تبلغوا كنه الاستقامة.

والمعنى: من أطاق القيام بحق هذه الأسماء، والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال: الرزاق وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها من قول العرب فلان ذو حصاة أي ذو عقل ومعرفة.

وفي كتاب «بدائع الفوائد» لابن القيم أن مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى ثلاثة:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها..

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها..

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى:

((وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا))[٣]

والدعاء بها له مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والأخرى: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته، وكذلك لا يسأل إلا بها، ويسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب توسلا بالاسم، وهكذا كانت أدعية الرسل المأثورة ولاسيما نبينا محمد ﷺ.

---

(١) من الآية ٢٠ من سورة المزمل.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة - باب المحافظة على الوضوء.

(٣) من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف.

والدعاء بأسماء الله الحسنى والتوسل بها أعلى مراتب الذكر عنده يدل على ذلك قول الله (فادعوه بها).

هذا: ولابد عند إحصاء أسماء الله الحسنى والذكر والدعاء بها من مراعاة أمرين:

أحدهما:

أن من صفات الله ما يجوز ذكره مفردا، ومضافا وهو كثير. كالقادر والقاهر، ومنها ما يجوز مفرداً ولا يجوز مضافًا إلا بشرط كالخالق، فيجوز ـ خالق كما يجوز خالق كل شيء ـ مثلا ـ بينما لا يجوز: خالق القردة ونحوه مما يحقره الناس.

ومن الأسماء الحسنى ما يجوز مضافا، ولا يجوز منفرداً كالمنشيء، يجوز منشيء الخلق، ولا يجوز منشيء ـ فقط..

وفي الكتاب العزيز

﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]

الأمر الآخر: الواجب مراعاته عند إحصاء أسماء الله الحسنى:

أن هذه الأسماء منها ما يطلق عليه سبحانه وتعالى مفردا مقترنا بغيره وهذا غالب كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم؛ إذ يسوغ أن يدعى الله بها بإفراد كل اسم أو باقترانه بغيره فتقول: يا عزيز يا حليم يا غفور أو أن يفرد كل اسم، وكذلك في الإخبار عنه، وفي الثناء عليه.

---

(١) من الآية ٧٢ من سورة الواقعة.

ومن الأسماء الحسنى ما لا يطلق على الله سبحانه بمفرده بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم حيث لا يجوز الإفراد بل لابد أن يقال: المعطي المانع، والضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله إذ هذا النوع من الأسماء الحسنى يراد به: أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاءً ومنعًا، ونفعًا، وضرًا وعفوًا وانتقامًا. ومن ثم فلا يسوغ أن يثنى على الله بمجرد المنع والإضرار والانتقام.

الله وتر: ما المراد بهذه الجملة؟

أما عن قول الرسول ﷺ في رواية مسلم في شأن الأسماء الحسنى: «وإن الله وتر يحب الوتر» فالوتر هو: الفرد.

ومعناه في جانب الله سبحانه أنه الواحد الذي لا نظير له ولا شريك..

ومعنى (يحب الوتر) تفضيله الوتر في الأعمال والطاعات؛ فقد فرض الصلاة خمساً، والطواف بالكعبة سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمي الجمار سبعا، وأيام التشريق ثلاثة.

وقيل: إن جملة (يحب الوتر) ينصرف معناها إلى صفة الذي يعبد الله بالتفرد والوحدانية مخلصا له.

ومن حسن التسمية:

ما وجه إليه الرسول ﷺ فيما أخرجه مسلم وغيره عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قوله:

«إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبدالرحمن».

حيث يدل هذا الحديث على استحسان التسمية بهذين الاسمين وتفضيلهما على سائر ما يسمى به، وإنما كان هذان الاسمان بهذه المنزلة التي أكد عليها هذا الحديث الشريف بعدة مؤكدات واردة في لفظه لأنهما جمعا بين أخص أسماء الله وأجمعها، وأخص أوصاف المؤمن وأعلاها ذلك: أن أخص أسمائه تعالى هو (الله) ثم (الرحمن) وأن أخص أوصاف المؤمن هو: (العبد).

وهذا هو القرآن يدل على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسمه سبحانه الذي خص به فلم يشارك فيه.. ذلك قول الله سبحانه في سورة مريم..

((هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا))(١)

---

(١) من الآية ٦٥ سورة مريم.

حيث فسر بعض العلماء هذه الآية بقوله:

هل تعرف له شبيها، وفسرها آخرون بأنه: (لم يسم بهذا الاسم غيره) ويؤكد أن لفظ الجلالة (الله) هو أول أسمائه سبحانه وأجمعها أدلة كثيرة منها أن هذا الاسم (الله) تكرر في آيات القرآن (٢٦٩٧) مرة، وهو ما لم يكن لأي اسم أو لفظ آخر.

ومنها أنه الاسم الذي أضيفت إليه الأسماء كلها، ولم يضف هو إلى شيء منها قال تعالى:

((وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ))[١]

فكل أسماء الله الحسنى محمولة ومنسوبة إلى هذا الاسم.

ومنها: أنه الاسم الذي تضمن معاني باقي الأسماء ولم يتضمنها سواه؛ فهو دال على الذات الجامعة للصفات الإلهية كلها، أما باقي الأسماء فإنها لا تدل إلا على آحاد المعاني التي تحملها آحادها من علم أو قدرة.

يوجه إلى هذا قول الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢]

أما اسم (الرحمن) فقد دل القرآن كذلك على أنه مختص به سبحانه ـ وتعالى لا يجوز أن يسمى به غيره، أو يوصف قال تعالى:

---

(١) من الآية ١٨٠ سورة الأعراف.

(٢) الآيات ٢٢ : ٢٤ من سورة الأعراف.

((قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ))(١)

حيث ـ عادلت هذه الآية اسم (الرحمن) بالاسم الذي لا يشاركه فيه غيره وهو (الله) ويدلنا القرآن كذلك على أن استعمال لفظ (الرحمن) اسما لله سبحانه أكثر من استعماله وصفا؛ فقد تكرر في سبع وخمسين موضعا في القرآن لم يرد وصفا إلا في ست مواضع منها؛ ويدل على تفرده سبحانه باسم (الرحمن) أيضا أنه جاء موصوفا في بعض المواضع قال تعالى:

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾(٢)

كما جاء اسما لسورة من سور القرآن: سورة الرحمن، واستقبل بآية في أولها: (الرحمن) وحين جاء هذا الاسم وصفا لله في القرآن تميز بسعة الدلالة وشمولها؛ لأن (فعلان) من أبنية المبالغة الدالة على الشمول والسعة. فالرحمن هو: ذو الرحمة الواسعة الشاملة التي لا نظير لها على حد قوله تعالى:

((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ))(٣)

وأما لفظ (عبد) فقد ورد في القرآن بمعنى خاص ـ هو العبودية للمخلوق ـ كما في قوله تعالى:

((ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ))(٤)

كما ورد بمعناه العام ـ وهو العبودية للخالق ـ كما في قوله تعالى:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾(٥)

---

(١) من الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٢ من سورة فصلت.

(٣) من الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.

(٤) من الآية ٧٥ من سورة النحل.

(٥) الآية ٩٣ من سورة مريم.

أي خاضعا مستسلما. وإذا كان وقع لفظ (عبد) على المعنى الأول صعبا وممقوتا؛ لأنه يعني تحكم الخلق في الخلق، فإنه على المعنى الآخر عذب وجميل؛ لأنه يعني عبودية الخلق لله، وفي هذه العبودية عز وخير؛ لأن الانقياد للخالق لا للمخلوق، ومن ثم تكرر لفظ (عبد) بهذا المعنى في القرآن خمسا وعشرين مرة في مواضع تدل على جلاله وجماله؛ إذ كان المَعْنيُّ بها في معظمها أنبياء أضافهم الحق إلى نفسه، أو أثنى عليهم بلفظه كقوله تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ:

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾[1]

وعن داود ـ عليه السلام ـ

((وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ))[2]

وفي جانب الرسول ﷺ:

((سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا))[3]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾[4]

((هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ))[5]

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[6]

وإذا كان لفظ (عبد) أحب إلى الله حيث وصف به رسوله محمداً ﷺ وأنبياء قبله، كان هو أعلى مقاما يعتز به المؤمن ويطلبه.

---

(١) الآية ٣ من سورة الإسراء.

(٢) من الآية ١٧ من سورة ص.

(٣) من الآية ١ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ١ من سورة الكهف.

(٥) من الآية ٩ من سورة الحديد.

(٦) الآية ١٠ من سورة النجم.

وبهذا يتأكد لنا أن التسمية بـ(عبدالله) وبـ(عبدالرحمن) أحب إلى الله؛ لأنهما جمعا بين أخص أسمائه سبحانه، وأخص أوصاف المؤمنين ولأنهما يذكران بالله سبحانه وبالعبودية له كلما تردد ذكرهما، وبذلك يتجلى لنا من القرآن والحديث أن الله سبحانه قد تسمى بأحسن الأسماء وأخصها به، وأحب للمؤمنين أن يتسموا بأحب أوصافهم إلى الله، (الرحمن)، وهي العبودية له سبحانه.

وإذا كان الحديث الشريف الذي تحدثنا عنه «إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن» قد دل بمنطوقه على أحب أسماء المؤمنين إلى الله فإنه ـ مع هذا ـ لا يمنع التسمية بغيرها، كعبدالرحيم وعبدالملك وعبدالصمد وعبدالقادر، لأن كل أولئك وصف الله بما هو واجب له، ووصف للإنسان بما وجب عليه، وهو العبودية لله سبحانه.

أما التسمية بالعبودية للمخلوق فباطلة بإطلاق، فليس من الإسلام التسمية بعبدالشمس أو عبدالرضا أو عبدالهدى، وما شابه ذلك نبيا أو وليا، لأن المستحق للعبودية ليس إلا الله سبحانه:

يدل لهذا ما رواه الحاكم في المستدرك ـ بسند صحيح ـ عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال:

كان اسمي في الجاهلية عبد عمر فسماني رسول الله ﷺ: عبدالرحمن.

وفي كتب السيرة والسُّنة والتراجم وقائع كثيرة بتغيير رسول الله ﷺ أسماء بعض الرجال والنساء والأولاد رغبة في تحسين التسمية أو لأن الاسم القائم يعني العبودية لغير الله سبحانه:

هذا، وقد اتفق العلماء على أن التسمية بما يدل على العبودية لغير الله محرمة.

كما اتفقوا على كراهة التسمية بالأسماء التي يكرهها الناس ويفزعون من ذكرها كالغراب، حيث نقل أن رسول الله ﷺ غير اسم رجل اسمه (غراب) إلى (مسلم)، وهو مسلم أبورائطة القرشي. أخرج هذا البخاري في كتابه «الأدب

المفرد» وصححه الحاكم، وكذلك غير اسم رجل من (شيطان) إلى (عبد الله) وهو عبد الله بن قرط الأزدي، رواه الطبراني وأحمد.

وكذلك كراهة التسمية بكل ما كان منفرا من الأسماء أو اسما لمعصية من المعاصي، أو بما يعير به الإنسان حالاً أو مستقبلاً أو يعرض صاحب الاسم للسخرية والازدراء والتحقير، وكان رسول الله ﷺ في تغييره لبعض الأسماء يختار الأسماء المتفائلة التي تبشر ولا تنفر..

وتلك كراهة تنزيهية بمعنى أن التسمية على هذا النحو خلاف الأولى، يدل لهذا أنه كان بين الصحابة من كانت أسماؤهم مما نهي عنه ولم يغيره رسول الله ﷺ.

ولقد حث رسول الله على إحسان التسمية منبها إلى أن هذا حق من حقوق المولود على والده - فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما - قول الرسول ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه».

وفي رواية عن أبي هريرة: «أن يحسن اسمه ويزوجه إذا أدرك ويعلمه الكتاب» أي القرآن.

وفي رواية عائشة - رضي الله عنها - : «أن يحسن اسمه، ويحسن موضعه، ويحسن أدبه» ولا نزاع في أن التسمية من حق الأب؛ لأن النسب إليه كما جاء في قوله تعالى:

((ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ))(١)

ولقد نقل السمرقندي في (تنبيه الغافلين) أن رجلا جاء إلى سيدنا عمر - رضي الله عنه - بابنه فقال: (إن ابني هذا يعقني: فقال عمر للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك، فإن حق الوالد كذا.. فقال الابن: يا أمير المؤمنين: أما للابن على والده حق؟

---

(١) من الآية ٥ سورة الأحزاب.

قال: نعم: حقه عليه أن يستنجب أمه، أي لا يتزوج امرأة دنيئة لكيلا يكون للابن تعيير بها قال: ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب ـ أي القرآن..

فقال الابن: فوالله ما استنجب أمي، وما هي إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم، ولا حسن اسمي: سماني جعلا ـ اسم حشرة دنيئة، ولا علمني من كتاب الله آية واحدة..

فالتفت عمر إلى الأب وقال: تقول ابني يعقني، فقد عققته قبل أن يعقك، قم عني..

ومن ثم كان حتما على الأب ـ براً بأولاده ـ أن يعمل بهذه الوصايا النبوية اتباعا للسنة، واستدامة للمودة والبر بين الوالدين وأولادهما..

أما التسمية بأسماء الأنبياء والصالحين والعلماء والنابغين تيمنا وتشريفا فجائزة في قول جمهور الفقهاء مع تفضيل أسماء الأنبياء للآثار الصحيحة الواردة في ذلك.

تسمية الأوقات بغير اسمها الشرعي

ويمتد بنا الحديث عن حسن التسمية وامتداحها في الإسلام في نطاق (ولله الأسماء الحسنى) إلى النهي عن تسمية الأوقات بغير اسمها الشرعي.

فقد روى البخاري عن عبدالله المزني أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب. قال: وتقول الأعراب: هي العشاء».

وروى مسلم عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإنها في كتاب الله العشاء وإنها تعتم بحلاب الإبل».

وروى ابن ماجه ـ بإسناد صحيح ـ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء» زاد ابن حرملة «فإنما هي العشاء، وإنهم يقولون: العتمة لإعتامهم بالإبل»..

والأعراب: سكان البادية من العرب ومواليهم وتعتم بحلاب الإبل: أي تؤخره إلى العتمة، والعتمة: ثلث الليل الأول بعد غياب الشفق، أو: وقت صلاة العشاء الآخرة.

والعتمة ـ كذلك ـ ظلمة الليل وتطلق على الحلاب في ذلك الوقت.

في هذه الأحاديث وجه الرسول ﷺ إلى إيثار الأسماء الشرعية على غيرها من الأسماء وإن كانت صحيحة.

فقد نهى عن غلبة تسمية الأعراب للمغرب والعشاء حيث كانوا يطلقون على المغرب اسم (العشاء) وعلى العشاء اسم (العتمة) وهي وإن كانت تسمية صحيحة بحسب اللغة لكن الشرع جعل المغرب اسمها للصلاة التي يبدأ وقتها بغروب الشمس، وجعل العشاء اسما للصلاة التي يبدأ وقتها بغياب الشفق. والمغرب من تسمية الرسول ﷺ.

أما العشاء فمن تسمية الله تعالى في القرآن في قوله تعالى: في سورة النور:

((وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ))[1]

أما كراهة تسمية الأعراب هنا فلأمرين:

أحدهما: مخالفته الكتاب والسنة، وهما أحق بالاتباع.

والأمر الآخر: أن في تسمية المغرب بالعشاء لبسا لا يؤمن معه أن تؤخر الأولى وتقدم الأخرى، كما أن في تسمية العشاء بالعتمة تسمية عبادة دينية باسم عمل دنيوي يدوي ـ هو حلب الماشية ذات اللبن في العتمة وفي البعد عن هذه التسمية احتياط عن رعاة الإبل وما قد يكونون عليه من سوء الأخلاق.

***

ويتضح لنا من هذا أنه يمتنع تسمية المواقيت الشرعية بأسماء غير ما سماها به الشرع.

وأنه كذلك ـ ليس مشروعا أن نطلق الأسماء الشرعية على مواقيت لم يشرعها الإسلام وإنما استحدث الناس الاحتفاء بها، ومن ثم، كان الأولى استحداث أسماء لها بعداً عن التسميات التي شرعها الإسلام حتى لا تشتبه بها بالممارسة المستمرة، وفي القرآن الكريم ما ينبه إلى أن الناس درجوا على إحداث ما لم يشرع الله ويسمونه بما يشبه أو يشتبه بالأسماء الشرعية ذلك قول الله سبحانه:

((إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ))[2]

حيث كان العرب قد اتخذوا اسم اللات والعزى اسمين مكرمين يحلفون بهما، وأطلقوهما على صنمين أو كانا اسمين لمكانين عظما بديلا للكعبة المشرفة، وقد أبان لهم الله في القرآن خطأ ما فعلوا وما سموا..

---

(١) من الآية ٥٨ من سورة النور.

(٢) من الآية ٢٣ من سورة النجم.

ومن هذا القبيل ما شاع في عصرنا من إطلاق اسم العيد على أيام اخترناها لمناسبات شخصية أو قومية مع أن اسم العيد قد اختصه رسول الله - ﷺ - للمسلمين بيومين هما ختام فريضتين من أسس الإسلام:

عيد الفطر الذي يعقب صوم رمضان، وعيد الأضحى المبارك الذي يعقب الوقوف بعرفات ركن الحج الأكبر ونزولا على ما جرت به سنة رسول الله ﷺ.

إن علينا نحن المسلمين أن نقتدي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته التي صدرت تعليماً وتشريعاً، وألا نخلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وأن نقف عند الحق ومعه، ولا نماري أو نحاور تمسكا بما استوردناه من مسميات ليست من بيننا ولا من سنن الإسلام بل إنها قد تشبه الأمور الإسلامية بغيرها، فليكن ما لله خالصا، ولنحتفظ بسمات الإسلام ومسمياته للمسلمين، وفي اللغة سعة من الأسماء نضيفها على ما نراه مناسبا من أيام هامة في حياتنا الوطنية أو الشخصية.

إن الأمم من حولنا شرقًا وغربًا لها أعرافها وعاداتها تتخذها شعاراً ودثاراً ولا تقبل به بديلاً ولا نظيراً، ونحن الأحق والأولى أن نحتفظ بما شرع الله لنا حتى في التسمية والأسماء:

((مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ))(١)

وفي آية أخرى في سورة المائدة يقول الله:

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢)

---

(١) من الآية ١٧٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٠٠ من سورة المائدة.

وفي سورة الأنفال يقول الله:

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١)

إن في توجيهات القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ في التسمية والأسماء الخير والبر والبشرى، وإن الخلط في تسمية ما لم يشرعه الله بما شرع وسَمَّى أمر غير محمود ومناف لمقاصد الإسلام.

فإذا أردنا الاحتفاء بيوم له ذكرى شخصية أو قومية فلنبتكر له اسماً كما ابتكرنا الاحتفاء به، ولا نضفي عليه صفة اختص الإسلام بها بعض أيام العبادة.

ولا يشتبه هذا على أحد بما قدمناه من جواز تسمية الأولاد بأسماء الأنبياء والأولياء حيث جرت بذلك سُنة رسول الله ﷺ فقد سمى ابنه إبراهيم، وسمى بعض أصحابه محمداً، لا يشتبه هذا بذاك، لأن الاسم لشخص لا لموسم ووقت عبادة، ويوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى موسم للعبادة وختام عبادة.

وليس أدل على هذا مما روى البخاري في صحيحه من نهي الرسول ﷺ عن تغيير اسم صلاة المغرب وصلاة العشاء في قوله:

«لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب. قال: وتقول الأعراب العشاء».

وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر:

«لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فإنها في كتاب الله، وإنها تعتم بحلاب الإبل».

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢)

---

(١) الآية ٣٧ من سورة الأنفال.

(٢) من الآية ٥٠ من سورة المائدة.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

ومن الذين قال الله فيهم:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

ثم إن العيد في الإسلام لم يتحدد بيوم من أيام الأسبوع ولا بتاريخ غير قمري، وإنما تحدد من الله الذي شرع للمسلمين مواقيت العبادة، وحددها وفقا لحركات مخلوقات سخرها في حركة دائبة منتظمة إلى ما شاء الله فقال سبحانه:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ (٢)

فمواقيت العيدين في الإسلام تتبع الأهلة انفرادا بسمة خاصة للإسلام، وكانت بصيرة سيدنا عمر - رضي الله عنه - النافذة حين أرخ للمسلمين بسنة هجرة رسول الله ﷺ ولم يؤرخ بيوم الهجرة أو شهرها وإنما بالسنة وعاد بالتاريخ إلى أول العام القمري الذي وقعت فيه إمضاءً لإشارة القرآن، وإحياءً لسُنة رسول الله ﷺ في التسمية، والاحتفاظ بشعائر الإسلام.

---

(١) من الآية ٥١ من سورة النور.

(٢) من الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

سنة الإسلام في تسمية المهن والأماكن

روى أصحاب السنن والبخاري في التاريخ عن قيس بن أبي غرزة ـ رضي الله عنه ـ قال:

كنا في عهد رسول الله ﷺ نُسَمَّى السماسرة فمر بنا رسول الله ﷺ فسمانا بأحسن منه فقال:

«يا معشر التجار.. إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة».

قال الترمذي في سُنَنه: إنه حديث حسن صحيح.

وكلمة السمسار ـ تطلق في البيع ـ اسم للذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطا لإتمام البيع.

وفي البخاري عن طاووس قال: سألت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما معنى قول النبي ﷺ: «لا يبيعن حاضر لباد». فقال: ـ «لا يكون له سمسارا». أي لا يتولى البيع له بأجر؛ لأنه حينئذ لا يريد له النصح، بل تحصيل الأجر، والشأن في هذا أن يميل إلى الجانب الذي يعطيه الأجر الأكبر.

أما التغيير الذي أجراه الرسول ﷺ من السماسرة إلى التجار فقد كان ـ والله أعلم ـ لأن لفظ التجارة قرآني ورد في قوله تعالى:

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(١)

توجيها إلى أعمال أصول التجارة العادلة، لا طريق السمسرة الخاسرة التي يكون الشأن فيها عدم العدل بين البائع والمشتري.

وفي تسمية الأماكن، وتغيير بعض الأسماء إلى ما هو أحسن وأنسب جرت سنة رسول الله ﷺ.

روى الطبراني في (الصغير) وغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ مر بأرض يقال لها عفرة فسماها (خضرة).

---

(١) من الآية ٢٩ من سورة النساء.

ذلك لأن الاسم الأول - عفرة - يعني الجدب، أو يحتمله فغيره الرسول ﷺ إلى (خضرة) تفاؤلا بإنبات الأرض واخضرارها.

وروى الشيخان - البخاري ومسلم - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة. تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

ذلك أن الرسول ﷺ سمع تسمية المدينة بيثرب فقال هذا مبينا فضلها، وأن الله قد أمره وهو في مكة بالهجرة إليها، وقد ميز بين الاسمين، وأشار إلى أَوْلاَهما بها وهو (المدينة)؛ بل قد روي النهي صريحا عن تسميتها بـ(يثرب). فقد أخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي أيوب (أن النبي ﷺ نهى أن يقال للمدينة: يثرب) ولهذا قال عيسى بن دينار من المالكية: (من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة).

ولعل سبب هذا النهي - كما جاء في (فتح الباري شرح صحيح البخاري): أن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، وإما من الثَّرْب وهو: الفساد وكلاهما غير محمود، بل ويستقبحه الناس ومن ثم لم يعد مناسبا إطلاق اسم يثرب على (المدينة) التي أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إليها، وفتحت بها القرى، وصارت تميز الخبيث من الطيب، وصار أولى بها اسم المدينة المأخوذ من مدن بالمكان إذا أقام به أو من دان يدين إذا أطاع وكلاهما مصدر سائغ مقبول لا ملامة فيه، ولا كراهة على أيهما..

كما اختار الرسول ﷺ لها اسم (طابة). فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب مرفوعا:

«من سمى المدينة يثربا فليستغفر الله: هي طابة هي طابة».

وقد جاءت هذه التسمية (طابة) في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي حميد قال:

«أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة». وفي بعض طرقه: (طيبة بدل طابة).

وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا:

«إن الله سمى المدينة طابة».

فهذه الآثار الصحاح تدل على أن الرسول ﷺ قد شرع التسمية الحسنة للمهن وللأماكن، وغير الأسماء التي توحي بالنفور وبالفزع إلى ما يشعر بالأمن والأمان والعزة والاستقامة، فهل لنا أن نقتدي بهذه السنن الشريفة ونعمل بها ونجعلها لنا قدوة وإماما؟

ذلك قول الله:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١)

---

(١) من الآية ٧ من سورة الحشر.

تغيير ما يوحي بمخالفة الشرع وإهماله

أخرج البخاري في تاريخه عن عبدالله بن قيس أن النبي ﷺ غير اسم عازب الأنصاري فسماه: عفيفًا.

وحكى ابن سعد «أن النبي ﷺ غير اسم غافل بن البكر الليثي فسماه عاقلا ويقال: إن هذا الصحابي أول من بايع في دار الأرقم».

وهذا التغيير في هذين الاسمين إنما كان ـ على ما يبدو ـ لما يوحيان به من إهمال الشرع.

فإن اسم (غافل) عن الغفلة وهي: فقد الشعور بما يجب أن يشعر به، أو هي: الذهول عن الشيء: أو سهو يعرض للإنسان من قلة التحفظ والتيقظ أو أن الغفلة متابعة النفس على ما تشتهيه، وكل هذا مناف لصفات المؤمن الذي يجب أن يكون كيِّسًا فطنًا، وذاكرا شاكرا لله أنعمه، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.

قال الله ـ في شأن الغافلين عن ذكر الله وشرعه:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (١)

وقال:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (٢)

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ ﴾ (٣)

(١) من الآية ٢٨ من سورة الكهف.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف.

(٣) من الآيتين ٧ ، ٨ من سورة يونس.

ومن ثم كان تغييره ﷺ اسم (غافل) إلي ((عاقل) تفاؤلا بأن يكون من ذوي الفطنة والعقل مهديا إلي الصواب في دينه ودنياه.

وأما اسم (عازب) فأصل اللفظ لمن لم يتزوج أي لا زوج له يقال: تعزب الرجل إذا ترك الزواج، ومعلوم أن الزواج من سُنن الإسلام.

ففي الحديث الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه:

«فمن رغب عن سُنتي فليس مني».

وفي الحديث الشريف أيضا ـ كما في فتح الباري:

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وأصل مادة عزب بمعنى: بعد وغاب ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾(١)

وقال:

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾(٢)

ولما كان التسمي باسم (عازب) يشعر بالبعد عن العفة بسبب ترك السنة في الزواج غير الرسول ﷺ هذا الاسم (عازبا) إلى (عفيف) تفاؤلا للمسمى بأن يكون عفيفا، ولا شك أن العفة خلق محمود ومن أحسن الصفات وتلك دعوة القرآن إلى العفة..

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾(٣)

---

(١) من الآية ٦١ من سورة يونس.

(٢) من الآية ٣ من سورة سبأ.

(٣) من الآية ٣٣ من سورة النور.

وقوله:

﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾(١)

وفي العفة عن أموال الغير:

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾(٢)

وقوله:

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾(٣)

لعله وضح من هذه الآيات والأحاديث أن تغيير الرسول ﷺ للأسماء التي تشعر بإهمال الشرع، أو تدعو إلى مخالفته لم يكن شكليا ـ كما يحلو للبعض ـ وإنما كان موضوعياً هادفاً إلى حسن القصد هادياً إلى الصراط المستقيم.

---

(١) من الآية ٦٠ من سورة النور.

(٢) من الآية ٦ من سورة النساء.

(٣) من الآية ٢٧٣ من سورة البقرة.

تغيير الاسم الذي يشعر بالحرق

روى الحاكم بسند صحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال لرجل: ما اسمك؟ قال: شهاب قال: بل أنت هشام. وهو هشام بن عامر الذي حدث عن نفسه فقال: «أتيت النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ قلت: شهاب. قال: بل أنت هشام» كما جاء في «المستدرك للحاكم»، وقد نقل الرواية الأولى البخاري في: (الأدب المفرد).

ولعل كراهة الرسول ﷺ للتسمية بشهاب لما فيه من الإحراق، إذ الشهاب في الأصل: الشعلة الساطعة من النار، والنار عقوبة الله سبحانه للخارجين على حدوده وأوامره، وهي محرقة مهلكة و(شهاب) اسم: للكوكب الذي ينقض على الشيطان الذي يسترق السمع. كما جاء في قول الله تعالى في سورة الصافات:

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[1]

ولقد روى الإمام مالك ـ كما جاء في (الموطأ) وشرحه للزرقاني ـ أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة فقال ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار.

قال: بِأَيِّها: قال: بذات لظى. قال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا. قال: فكان كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ..

وبهذا الذي روي عن عمر يتضح الربط بين الأسماء ومعانيها، فقد توقع لأصحاب هذه الأسماء أن يحترقوا حيث فهم من تغييره ـ عليه الصلاة والسلام ـ اسم (شهاب) إلى اسم (هشام).. أنه بسبب كراهيته لمعنى الاحتراق.

والقرآن شاهد بهذا المعنى لهذا اللفظ: (شهاب)

---

(١) الآية ١٠ من سورة الصافات.

ففي سورة الحجر:

﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

وفي سورة النمل:

﴿ سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[2]

وفي سورة الجن:

﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[3]

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾[4]

مرة أخرى أذكر بأن حسن التسمية سمة إسلامية، وأسوق ما رواه البخاري في (الأدب المفرد) عن ابن المسيب عن أبيه قال: إن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال له: ما اسمك قال حزن: قال: أنت سهل قال: لا أغير اسما سمانيه أبي.

وفي رواية لأبي داود: لا، لأن السهل يوطأ ويمتهن. قال سعيد بن المسيب: فمازالت الحزونة فينا بعد.

أي أن الحزونة بمعنى الخشونة التي تؤدي إلى الغلظة والشدة سمة ملازمة لهذه الأسرة؛ لأنها خالفت توجيه الرسول ﷺ في حين أن (حزنا) آخر سماه الرسول ﷺ (سهلا) هو: سهل ابن سعد الساعدي الأنصاري وقد قبل التسمية متفائلا بها.

---

(١) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة الحجر.

(٢) من الآية ٧ من سورة النمل.

(٣) من الآية ٩ من سورة الجن.

(٤) الآية ٨ من سورة الجن.

الاستمساك بالمقومات الإسلامية لا يمنع التعاون مع غير المسلمين

ولا يوحي ما تقدم من القول عن حسن التسمية، وعن ضرورة الاحتفاظ بالسمات الإسلامية أن الإسلام ـ وإن عُني باستقلال الفرد في مواجهة فرد آخر وفي مواجهة جماعة أخرى، وإن عني باستقلال الأمة الإسلامية كلها في مواجهة الأمم الأخرى ـ فإنه لم يقصد بهذا الاستقلال أن تنقطع صلة المسلم ولا صلة الأمة المسلمة بفرد غير مسلم، أو بالأمم غير المسلمة؛ إذ إن في قول الله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(١)

ما يفيد أن الصلات بين الأفراد المسلمين قوامها التعاون على البر والخير وعلى تقوى الله والخشية منه، وطالما وجد هذا الأساس أيضا في الصلة بين الأمة الإسلامية، أوشعب آخر غير مسلم، كان المسلمون مطالبين بالتعاون مع غير المسلمين ـ مادام في هذا تحقيق خير بني الإنسان جميعا ـ ذلك لأن ما يطلبه الإسلام من استقلال الفرد المسلم في شخصيته وسماته الإسلامية، واستقلال الشعب أو الأمة الإسلامية هو ـ في الواقع ـ ألا يذوب الفرد في غيره بما يذهب ماله من مقومات وحرية وإرادة وسمات مميزة حتى في غيره من المسلمين.

وألا تذوب الأمة الإسلامية أو الشعب المسلم في شعب أو أمة غير مسلمة تخالف الأمة الإسلامية في خصائصها.

ولا يظن أحد أن قول الله سبحانه:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٢)

---

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة.

(٢) من الآية ٧١ من سورة التوبة.

يحض المسلمين على ألا يكونوا على علاقة مودة أو تعاون مع غيرهم، وإنما يقصد منه - والله أعلم - أن للأمة الإسلامية كما للمسلم، كيانا شخصيا خاصا، وسمات إسلامية تعرف بها الأمة كما يعرف بها الفرد، وأن الولاء والمودة. إتمامهما لهذا الاعتبار، أي للإسلام والأخوة فيه أولا، وهذا أمر طبيعي للمحافظة على كيان أية جماعة إنسانية، بل أي فرد من بني الإنسان. والإسلام يُعنى تمام العناية في توجيه الإنسان إلى: إيقاظ الشعور بالمسؤولية الشخصية، ويعنى مع ذلك بإيقاظ الشعور بالتعاون في سبيل الخير وحده، وعلى أساس الشعور بالمسؤولية يصدر الفرد في عمله ومن ثقة بذاتيته، وتدفعه إلى العمل والإنتاج حريته التي انبثقت من وجوده الخاص، وعلى أساس هذا وبإيقاظ الشعور بالتعاون في سبيل الخير تتهذب أنانية الفرد فلا تطغى على تصرف من تصرفاته.

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾(١)

وعندئذ يسير الفرد - بدافع من ذاتيته وحريته الفردية - في سبيل المشاركة والمعاونة المثمرة مع غيره.

وإيقاظ الشعور بالمسؤولية عند الفرد المسلم على هذا النحو يمتد أثره إلى إيقاظ الشعور عند الشعب أو الأمة، لأن الشعب مجموعة من الأفراد.

---

(١) من الآية ٩ من سورة الحشر.

حرص الإسلام على السلام بين الناس

بهذا يظهر أن الإسلام ينشد في تعاليمه السلام الداخلي والخارجي، ويسعى إلى الاستقرار داخل الأمة الإسلامية، وإلى استقرار علاقتها بالأمم الأخرى، وبالأخص أولئك الذين لا ينكرون الله الخالص، ويدينون بدين سماوي.

يدل على هذا قول الله سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(١)

فالقرآن يوجه المسلمين، ويطلب منهم ألا يعتدوا على غيرهم وأن يشاركوهم في السلام العام، ويسهموا معهم بسهم إيجابي فيه. وذلك هو معنى قول الله في هذه الآية:

﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ ﴾(٢)

ومع هذه الإيجابية نحو السلام العام للناس يطلب القرآن من المسلمين أن يكون قولهم قول الحريص على السلام، وذلك بالقول الحسن، ذلك قول الله لرسوله:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(٣)

ومن عناصر السلام العالمي، والسلم العام لدى المسلمين أن الإسلام لا يكره الناس على الدخول في عقيدته. ذلك قول الله:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٤)

---

(١) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.
(٢) من الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٥٣ من سورة الإسراء.
(٤) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

وإذا كان القرآن قد استبعد الإكراه والقسر في نشر العقيدة الإسلامية لم يكن للأمة الإسلامية ما يدعوها إلى الاعتداء على الغير، وإن كان حقا للمسلمين أن يدافعوا عن هذه العقيدة إذا وقع الاعتداء عليها أو عليهم بسببها، وهذا حق خاص لكل أمة تحفظ به ذاتها وكيانها.

فالمسلمون مطالبون بمقتضى نصوص الإسلام بعدم الاعتداء، وبالمساهمة في إقامة السلام واستقراره واستمراره، وصون العلاقات الدولية بعيداً عن القلق وبعيدا عن الاضطرابات.

نجد هذه المبادئ مقررة في قول الله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١)

وقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

وقول الله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣)

ومع هذا الحرص من الإسلام على السلم نبه القرآن المسلمين أن هذا مشروط ألا يستذلوا ولا تمتهن كرامتهم، فالسلام في نظر الإسلام ليس استسلاما يقول الله:

---

(١) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

(٢) الآية ٨ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[1]

وبهـذا الأسلوب الحكيم ـ الذي هو تنزيل من رب العالمين. يكون المسلمون مأمورين من الله بالتواصل مع الأمم والشعوب الأخرى تنمية للعلاقات الإنسانية واستدامة لها وارتقاء بها.

ويؤكد هذا ما درج عليه القرآن من إباحة التعامل مع أهل الكتاب بتبادل الطعام، وبإباحة زواج المسلم من المرأة الكتابية، وصدق الله فقد بين إرادته في اختلاف الإنسانية إلى أمم في قوله:

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[2]

(١) الآية ٣٥ من سورة محمد.

(٢) من الآية ٤٨ من سورة المائدة.

مع القرآن الكريم

وصف الرسول ﷺ ـ للقرآن:

في حديثنا عن الذكر الحكيم. كتاب رب العالمين. نستعيد وصف رسول الله محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ للقرآن، حيث يقول فيما رواه الترمذي:

«كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ (١)

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»

هذا القرآن:

هو: كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة. المختتم بسورة الناس.

---

(١) من الآيتين ١ ، ٢ من سورة الجن.

فضائل القرآن

في فضائل القرآن وعلومه قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾(١)

وقال توجيهاً وتعليماً لأمة القرآن:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)

وقال دعوة لتدبر القرآن وفهمه:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٣)

وفي أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ قوله:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٤)

وقوله:

«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه «أي يصعب قراءته عليه» وهو عليه شاق له أجران»(٥)

وقوله:

«إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم»(٦)

---

(١) الآية ٢٩ من سورة فاطر.
(٢) الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف.
(٣) من الآية ٢٤ من سورة محمد.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم.
(٥) رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.
(٦) رواه الحاكم من حديث لعبد الله بن مسعود.

وفي شهر رمضان علينا أن نتواصى بتلاوة القرآن والعمل به.

ذلك: أن من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره، ومن قرأه وتدبر ولم يعمل بما فيه فقد هجره.

ذلك ما يشير إليه قول الله:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(١)

إنه لا عذر للمسلمين في هجر القرآن، وعليهم أن يتعلموه ويعلموه أولادهم.

قال تعالى في بيان فضل القرآن في سورة الحجر:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾(٢)

وقال في سورة البروج:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾(٣)

وفي سورة فصلت:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴾(٤)

وفي الحديث الشريف ـ مما رواه الترمذي ـ فيما صح عن النبي ﷺ أنه حدث عن جبريل ـ عليه السلام ـ عن الرب تبارك وتعالى أنه قال:

«من شغله قراءة كتابي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي الشاكرين».

وفي رواية «السائلين».

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الفرقان.
(٢) الآية ٨٧ من سورة الحجر.
(٣) الآية ٢١ من سورة البروج.
(٤) من الآية ٤١ من سورة فصلت.

وروى النسائي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن لله أهلين من الناس. فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن. هم أهل الله وخاصته».

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: «ذكر لرسول الله ﷺ: الفتنة قلنا يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾(١)

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم».

وروى مسلم ـ في صحيحه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو ـ عليه شاق ـ له أجران».

والتعتعة في الكلام: التردد فيه من (حَصَر) أو (عَيٍّ) والمراد في الحديث: التردد في النطق بالقرآن لعدم الحفظ.

وروى البخاري عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

---

(١) من الآيتين ١ ، ٢ من سورة الجن.

وروي أنه - ﷺ - قال:

«إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: فما جلاؤها يا رسول الله؟»

قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن: ألم تسمعوا قوله تعالى:

﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(١)

وروي أنه قال في قوله تعالى:

﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾(٢)

قال: يعملون بحكمه، ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه.

ومما رواه الحاكم من حديث لعبدالله بن مسعود:

«إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم».

هذه بعض فضائل القرآن، ومن ثم وجب على كل مسلم ومسلمة تعظيم القرآن، فهو تنزيل من رب العالمين على أفضل المرسلين:

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾(٣)

واعلم أيها المسلم أن من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه، فقد هجره، ومن قرأه وتدبر ولم يعمل بما فيه فقد هجره، وذلك ما يشير إليه قول الله:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾(٤)

---

(١) من الآية ٥٧ من سورة يونس.

(٢) من الآية ١٢١ من سورة البقرة.

(٣) الآيات من ٧٧ : ٨٠ من سورة الواقعة.

(٤) الآية ٣٠ من سورة الفرقان.

شرح كلمات لابد من التعرف عليها في مدارسة القرآن

إعجاز القرآن:

الإعجاز: إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل، أو رأي أو تدبير، والذي يظهر على الخلق من هذا المعنى ثلاث درجات: مَخْرَقة، وكرامة، ومعجزة.

وكلمة (مخرقة) يراد بها هنا العمل الغريب المبني على خداع وتمويه لا حقيقة له كالسحر.

وبين المخرقة والمعجزة فروق كثيرة منها:

إن المخرقة لا بقاء لها. كعصي وحبال سحرة فرعون. وقد جاءت قصة هؤلاء السحرة في أكثر من موضع في القرآن الكريم. من هذا ما جاء في سورة طه:

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]

فما فعله سحرة فرعون ليس معجزة وإنما كان تمويها لا حقيقة له، ولذلك لما أمر الله موسى بإلقاء عصاه حدثت المعجزة:

﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[2]

---

(١) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ من سورة طه.

(٢) الآيات من ٦٧ : ٧٠ من سورة طه.

والإيمان من السحرة إقرار ضمني بأن ما فعلوه كان سحرًا وتمويهًا وخداعا، أما ما فعلته عصا موسى فكان معجزة من عند الله.

فالمخرقة لا بقاء لها وللمعجزة البقاء، ثم المخرقة لا حقيقة لها ولا معنى، لأن بناءها على الآلات والحيل، والمعجزة لا آلة لها ولا حيلة.

وأيضا فإن عامة الناس يعجزون عن المخرقة، وأما المهرة الأذكياء فلا يعجزون عن استعمال الحيل والخداع، أما المعجزة فيعجز عنها كافة الناس، كما أن المخرقة متداولة بين الناس في كل الأزمان غير مختصة بوقت دون وقت، وقد تتطور وتفرق في الخداع والحيل، أما المعجزة فمختصة بزمان النبوة، خارجة عن العرف. خارقة للعادة، وكذلك فإن المخرقة يمكن إبطالها بضدها، أما المعجزة فلا سبيل إلى نقضها، كما وضح من صنيع سحرة فرعون حين ألقى موسى عصاه فأبطلت سحرهم، وكفوا عنه متابعين لموسى معلنين عجزهم عن مواجهة عصاه ومعجزاتها.

وأما الفرق بين المعجزة والكرامة فهو أن المعجزة مختصة بالنبي دائما، ويقترن وقتها بالنبي وقومه وتحصل بالدعاء، ولا تكون ثمرة المعاملات المرضية. ولا يمكن تحصيل المعجزة بالكسب والجهد.

وقد وقعت معجزة نوح عليه السلام بالدعاء على قومه، قال تعالى:

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

---

(١) الآيتان ٣٢، ٣٣ من سورة هود.

ثم قال الله:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

وكذلك كان حال عاد قوم (هود) وحال ثمود قوم (صالح) إنما نزل العذاب بدعاء النَّبِيِّيْنْ وكانت الاستجابة للدعاء وكان إهلاكهم معجزة صدق لكل منهم.

تلك المعجزة

أما الكرامة فأمر خاص بالولي ويجب عليه كتمانها فإن أظهرها زالت وبطلت، ولا تحدث إلا بالدعاء والتضرع وفي بعض الأوقات يعجز عن إظهارها.

---

(١) الآية ٤٠ من سورة هود.

القرآن معجز بلفظه ومعناه

ذلك الكتاب لا ريب فيه، شرع الله فيه للناس سبل الرشاد، وهدانا به إلى الصواب أنزله على رسوله محمد ﷺ:

﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾(١)

بل نزله (قيماً) مفصلاً بيناً:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢)

ولقد شرف الله هذا الكتاب وكرمه ورفعه وعظمه، وسماه: روحاً ورحمة وشفاء وهدى ونوراً.

ولقد قطع الله منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وحجبه بعجيب النظم وأبلغه عن جعل المتكلفين، وجعله متلواً لا يُمَلُّ على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجه الأذان وغضاً لا يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع علومه ولا فوائده.

ولقد نسخ الله به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه ومبانيه، وهذا مما يشير إليه قول الرسول ﷺ:

«أوتيت جوامع الكلم»،(٣) يعني القرآن، وما جمع الله عز وجل بلفظه من المعاني الجمة في الألفاظ القليلة كقوله سبحانه في سورة الأعراف:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٤)

---

(١) من الآية ١ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٤٢ من سورة فصلت.

(٣) رواه مسلم – المساجد، وأحمد ٢ / ٢٦٨ إلى ٣١٤ (الميمنية).

(٤) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

حيث جمع الله في هذه الآية الوجيزة كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالعرف تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحرمات.

وإنما سمي هذا وما أشبهه عرفاً ومعروفاً لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئن إليه.

وفي الإعراض عن الجاهلين: الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج.

ومن صفاته ﷺ أنه كان كذلك يتكلم بجوامع الكلم، أي يتحدث عن كثير المعاني في قليل الألفاظ.

قال الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» في معرض حديثه عن بلاغة الرسول ﷺ: والذي يدلل على أن الله ـ عز وجل ـ خصه بالإيجاز، وقلة عدد الألفاظ مع كثرة المعاني قوله ﷺ: «نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم».

ومن هذا القبيل في الإعجاز قول الله ـ سبحانه ـ في سورة (النازعات) بعد ذكر الأرض: قال:

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَنٰهَا ﴾(١)

حيث دل بهذا اللفظ الوجيز على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والحب والشجر والثمر والحطب، وما يسقط من ورق الزرع وما لا يؤكل منه، وعلى اللباس والنار والملح؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء، ويزيد هذا المعنى إيضاحاً وتأكيداً قول الله ـ سبحانه ـ في سورة (النازعات)

﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(٢)

(١) الآية ٣١ من سورة النازعات.

(٢) الآية ٣٣ من سورة النازعات.

ولون آخر من هذا الإعجاز لفظاً ومعنى نجده في قول الله سبحانه في سورة (الرعد) - حين ذكر جنات الأرض:

﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾[1]

حيث دل على نفسه ووحدانيته وقدرته وهديه إلى الحجة الباهرة؛ لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتربة لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا أنبت في مغرس واحد، وسقي بماء واحد.

ولكنه صنع اللطيف الخبير أن فاضل في الأكل بين الثمر الذي في مغرس واحد، وارتوى بماء واحد فجعله مختلفاً أكله. وفي قوله - جل ذكره - في سورة (البقرة):

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2]

معنى جليل في لفظ قليل إذ يستفاد من هذه الآية الوجيزة في عبارتها: أن سافك دم إنسان عمداً إذا اقتص منه بالقتل ارتدع عن القتل من كان يفكر فيه أو يهم به، فكان في القصاص (وهو قتل) حياة، وفي هذا المعنى قال بعض الحكماء: بعض القتل إحياء للجميع، والقتل أنفى للقتل.

ولنتدبر قول الله سبحانه في سورة الواقعة في وصف الله الخمر التي يشربها أهل الجنة:

﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[3]

حيث نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: (ولا ينزفون) عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب.

---

(١) من الآية ٤ من سورة الرعد.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٩ من سورة الواقعة.

القرآن هو المعجزة الخالدة بكل وجوه الإعجاز

وإنما يعرف فضل القرآن من صاحبه تلاوة ومدارسة وكَثُرَ نَظَرُهُ وتَدَبُّرُه، واتسع علمه، وكان من العالمين بمذاهب العرب في لغتها وتنوع أساليبها وما اختص الله به اللغة العربية من ميزات دون سائر اللغات، باعتبارها اختصت بقوة البيان واتساع المجال.

ولقد أراد الله سبحانه إقامة الدليل على نبوة سيدنا محمد ﷺ بالكتاب المبين، فجعله علمه وحجته ومعجزته الخالدة، كما جعل علم كل نبي ومعجزته في مثل ما اشتهر به قومه وساد في الزمان الذي بعث فيه: فكان لموسى تسع آيات منها (فلق) البحر واليد والعصا وتفجر الحجر في التيه بالماء العذب.

وكان لعيسى إحياء الموتى وخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه (العمى الذي ولد به الإنسان) والأبرص، إلى سائر ما كان قد جرى على يديه عليه السلام في صنوف الطب.

ثم كان لسيدنا محمد ﷺ هذا الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وإعجاز القرآن لفظاً ومعنى قد تنوعت أساليبه وأسبابه كالشأن لدى خطبائها في العصر الذي نزلت فيه هذه المعجزة، متحدية بلاغة القوم وقوة عطائهم، فهم يعرفون أن لكل مقام مقالا، ولغتهم ثرية بالحقيقة والمجاز والكنى:

يختصر الواحد منهم، فيوجز المقال إرادة التخفيف.

ويطيل تارة إرادة الإفهام.

ويكرر طلباً للتوكيد.

ومخارج الحروف وعددها في اللغة العربية تقصر عنها اللغات الأخرى وتتغاير المعاني في لغة القرآن بتغاير حركة البناء أو بتبادل بعض الحروف في

ذات اللفظ الواحد؛ فالنار إذا طفئت هي (هامدة)، فإن سكن اللهب وبقي شيء من جمرها فهي (خامدة)، وما ارتفع من الأرض (حزن)، فإن زاد قليلا قيل: (حزم) وأنواع أخرى من الكلم تختلف في المعنى بحسب موقعها وكثرة الاشتقاق منها، ومواقع إعرابها، مما لا يتسع المجال للمزيد منها.

وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها: الاستعارة والتمثيل والتقديم والتأخير والحذف والقلب والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإيضاح والكناية والإفصاح وغير هذا مما وسعته أساليب العرب.

ولكل هذا أنزل القرآن، ولذلك عجز أهل هذه اللغة ومازالوا عن الإتيان بمثله، أو بسورة من مثله، ومن ثم فإن أحداً من التراجم لا يقدر على أن ينقل القرآن أو بعضه إلى لغة أخرى؛ لأن اللغات الأعجمية لم تتسع في الأساليب اتساع العربية.

وإذا كان في القرآن مشكل ومتشابه ومبهم فإنما ذلك لحكمة قدرها الله الذي أنزله علماً على نبوة سيدنا رسول الله ودليلاً على صدقه.

وإذا كان بعض الناس قد اتبعوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فحرفوا الكلم عن مواضعه؛ فإن علماء المسلمين كانوا لأولئك بالمرصاد، يذودون عن كتاب الله بالحجة النيرة وبالبراهين البليغة.

القرآن معجزة نبي الإسلام

جرت حكمة الله أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات، وبالبراهين الدامغة التي تدل على صدقهم، وفي هذا روي عن رسول الله محمد ﷺ قوله:

«ما من نبي من الأنبياء إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً». رواه البخاري..

ذلك أن معجزة القرآن ـ في (ذاته) وبما حوى من المعجزات الكثيرة.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(1)

قد كتب الله لها الخلود فلم تذهب أو تذبل بمضي الأيام، ولم تمت بموت رسول الله ﷺ بل ماتزال قائمة تحاج كل مكذب وتتحدى كل منكر وتدعو الناس جميعا إلى ما في القرآن من هداية الإسلام وسعادة الإنسانية.

ومن هذا يظهر الفرق واضحًا بين معجزات نبي الإسلام محمد ﷺ. ومعجزات إخوانه الأنبياء ـ عليهم أزكى الصلاة وأتم التسليم ـ.

إذ إن معجزة القرآن تحوي آلاف المعجزات الباقية إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تهدي الناس.

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾(2)

---

(١) من الآية ٥٣ من سورة فصلت.

(٢) الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الإسراء.

تلك معجزة نبي الإسلام، أما معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد، قصيرة الأمد، ماتت بموتهم، وانتهت بذهاب أزمنتهم.

كانت معجزاتهم حسية، كـ(عصا موسى) التي انقلبت حية تسعى، و(ناقة صالح) التي خرجت من الصخر ولها رغاء، أو شفاء مريض، أو إبراء أعمى، كما كانت معجزة عيسى ـ عليه السلام ـ.

أما القرآن فهو المعجزة الكبرى للرسول محمد ﷺ وهو خالد إلى ما شاء الله

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1]

ولقد تحدت هذه المعجزة كل الخلائق فما واجهها مخلوق أيا كان وضعه أو وصفه.

قال تعالى في سورة الإسراء:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2]

ثم تحدى القرآن العرب ـ أصحاب هذه اللغة التي نزل بها وفرسان البلاغة والبيان ـ تحداهم بأن يأتوا بمثله.

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾[3]

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[4]

---

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٨٨ سورة الإسراء.

(٣) الآية ٣٤ سورة الطور.

(٤) الآية ٤٩ سورة القصص.

ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور. فقال في سورة هود:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (١)

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله بأقصر سورة في القرآن فقال في سورة البقرة:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢)

هذا التحدي لأهل البلاغة والفصاحة أهل هذه اللغة التي هي لسانهم، فما استطاعوا ذلك بالرغم من انفساح الوقت، إذ لم يضرب لهم أجلا للمعارضة، ولم يحدد زمناً للمناقضة.

والحديث عن القرآن المعجزة الخالدة قد فصله العلماء، كل في الجانب الذي يحسنه فما استوفوا ما فيه وما بلغوا غايته.

نقل أن الأصمعي خرج ذات يوم فسمع جارية تنشد أبياتاً من الشعر أعجبته فقال لها:

قاتلك الله، ما أفصحك. فقالت له: أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى:

---

(١) الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة هود.

(٢) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة البقرة.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1]

ثم قالت له: لقد جمعت هذه الآية ـ على وجازتها ـ بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

أما الأمران: فهما أرضعيه وألقيه في اليم، وأما النهيان فهما: لا تخافي، ولا تحزني، وأما الخبران فهما: أوحينا وخفت، وأما البشارتان: فهما: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

سبحان الله الذي فهَّم هذه الجارية البدوية صغيرة السن، هذا العلم.

وروي أن ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور حاول معارضة القرآن ذات مرة فسمع صبيًا يقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]

فمزق صحفه التي كان قد بدأ بها معارضة القرآن، وكسر أقلامه، وقال: والله هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله.

هذا هو القرآن، كتاب الله إلى الناس جميعًا، المعجزة الخالدة، على المسلمين أن يعملوا به، وأن يحفظوه ويعلموه أولادهم، فبه وفيه الحياة السعيدة المطمئنة، وفيه الشريعة العادلة المستمرة، وفيه العقيدة الصافية وفيه وبه السكينة والطمأنينة، وليس بعد قول الله تعالى:

---

(١) الآية ٧ من سورة القصص.

(٢) الآية ٤٤ من سورة هود.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1]

ومن ثم فـإن تكرار اللفظ في القـرآن، والتكرار المعنوي كـذلك من دلائل الإعجاز، وصدق التنزيل من عند الله.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2]

---

(١) الآية ٩ من سورة الاسراء.

(٢) من الآية ٨٢ من سورة النساء.

الهدف من نزول القرآن

أمران استهدفهما القرآن:

أحدهما: أن يكون معجزة دالة على صدق الرسول محمد ﷺ في رسالته، وأنه مبلغ الرسالة عن ربه سبحانه. وبه أمر الله رسوله أن يتحدى قومه فتحداهم حتى ظهر عجزهم، وقامت عليهم الحجة بهذا التحدي. جاء قول الله

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾(١)

وقوله:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٢)

فالقرآن معجزة عقلية من جنس ما برع فيه قومه، ولم تنته بانتهاء عصر الرسالة كالشأن في معجزات من سبقه من الأنبياء؛ بل القرآن خالد خلود الإسلام.

الأمر الثاني المستهدف من نزول القرآن:

إنه منبع إرشاد وهداية، ومصدر تشريع وأحكام . يجب اتباعه، والرجوع إليه. ولا يكفي في إثبات أنه واجب الاتباع مجرد ثبوت أنه معجز، بل لا يدفع هذا من ملاحظة أن إعجازه دل على أنه من عند الله

(١) من الآية ١٣ من سورة هود.
(٢) الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

ولقد احتوى القرآن على الأمر الإلهي الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في أكثر من موضع وبأساليب متنوعة وعديدة:

من ذلك قول الله ـ سبحان:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(1)

وقوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾(2)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(3)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (4)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن

---

(١) الآية ٣ من سورة الأعراف.

(٢) من الآية ١٠٥ من سورة النساء.

(٣) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

(٤) من الآية ٤٨ من سورة المائدة.

يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]

ولقد انعقد إجماع المسلمين على أن القرآن الكريم هو أساس الدين والشريعة، وصار هذا أمراً معلوماً من الدين بالضرورة لا فرق بين عصر وعصر؛ فهو حجة الله على الناس كافة في كل زمان ومكان فيما جاء به من عقائد وأحكام وأخلاق، ولا ينبغي لمسلم أن يقصره على قوم أو يحصره على عصر.

---

(١) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة المائدة.

محتويات القرآن

يمكن تصنيف ما احتواه القرآن على الوجه التالي:

أولا: العقائد التي يجب الإيمان بها وهي: الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر. كحد فاصل بين الإيمان والكفر.

ثانيا: الأخلاق التي تهذب النفس، وتصلح من شأن الفرد والجماعة، وتحذر من الأخلاق السيئة التي تودي بالأخلاق الفاضلة، وتتسبب في الشقاء في هذه الحياة وفي المآل في الآخرة.

ثالثا: الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، للتعرف على أسرار الله في كونه، وإبداعه في خلقه؛ فتطمئن القلوب إيماناً بعظمته عن نظر واستدلال، لا عن تقليد ومحاكاة.

آية ذلك: أن القرآن قد عاب على الذين يقلدون الآباء والأجداد في عقائدهم ودينهم وعاداتهم السيئة الفاسدة.

وفتح القرآن بهذا الإرشاد باب البحث في الكائنات الي تملأ الأرض والسماء والهواء لينفتح بها الإنسان في كل مرافق الحياة.

وبالرغم من هذا الإرشاد المتكرر في القرآن غفل المسلمون عن هذا الجانب، لاسيما في هذا العصر، ولم ينتفعوا بتوجيه القرآن، بينما انتفعت بتوجيهه أمم أخرى خاضت غمار هذا الكون فتعرفت على بعض أسراره، فكان ذلك عوناً على التقدم العلمي الذي استخدموه في نواح شتى من شؤون الحياة، وتأخر المسلمون عن اللحاق بهؤلاء، وصاروا لهم تبعاً في هذه المعارف والعلوم.

فهل من صحوة علمية ذاتية للمسلمين، يبنون بها بلادهم ويصلحون أمرهم في نطاق الشرعية الإسلامية، وفي ظل القرآن الذي جاء هادياً مرشداً.

رابعا: قصص السابقين من أمم وأفراد.

ولقد أورد القرآن من ذلك الكثير الذي يثير العظة والعبرة، ويرشد إلى سنن الله في معاملة الخلق على اختلاف أحوالهم.

وهذا - والله أعلم - هو مقصد القرآن من ذكر هذه القصص في صور وأساليب متنوعة؛ إذ لم يذكر هذا القصص تاريخاً يحدد الزمان والمكان والأشخاص، وعلى الرغم من هذا المقصد الواضح في القرآن. إلا أن بعض المفسرين والقصاص قد شغلوا أنفسهم بتحميل آيات القصص في القرآن ما لا تتحمله، ولا تفصح عنه ألفاظها. وبذلك شغلوا الناس، بل وجرفوهم عن مواطن العظة والاعتبار في الآيات، وحرموا الناس بهذا الصنيع من فوائد جمة ومن الاستفادة من مقاصد القرآن.

خامسا: الإنذار والتخويف والوعد والوعيد، ولقد سلك القرآن في هذا المجال طريقين:

أحدهما: الوعد والوعيد في الحياة الدنيا بعموم السلطان وبالتمكين في الأرض، أو بتقليص العز والملك وتسليط الظالمين مثال ذلك قول الله:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١)

وقوله - سبحانه:

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النور.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (١)

الطريق الثاني:

الترغيب والترهيب بالنعيم وبالعذاب في الآخرة.

مثاله قول الله ـ تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٣)

وأمثال كثيرة في القرآن مبشرة ومنذرة، مرغبة ومحذرة ساقها الله في القرآن ابتغاء إصلاح بني الإنسان، وتوجيههم إلى طريق من طرق التربية التي يجب أن نجربها ونسلكها في أسرنا ومجتمعاتنا. وصدق الله إذ قال تعليماً وتوجيهاً لأمة القرآن ـ في شأن الأمثال في القرآن ـ قال:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (٤)

---

(١) الآية ١١٢ من سورة النحل.
(٢) من الآية ١٣ من سورة النساء.
(٣) الآية ١٤ من سورة النساء.
(٤) الآية ٤٣ من سورة العنكبوت.

وقال ـ تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)

أي أن القصص والأمثال في القرآن جاء تذكرة ونموذجا للتعليم والإرشاد.

فهل من مدكر؟

سادسا: الأحكام والتشريعات العملية التي فصلها وأصلها، وكلف الناس باتباعها في تنظيم العلاقات مع الله أو مع الناس، وهي التي أطلق عليها العلماء: (آيات الأحكام) أو (فقه القرآن).. فهذه العبادات على اختلاف أنواعها من: صلاة وصوم وزكاة وصدقات وكفارات وجهاد وحج ويمين ونذور جاء في شأنها ما يقرب من مائة وأربعين آية في القران الكريم.

وأحكام الأسرة من: زواج وطلاق وصلة بين أفراد الأسرة أصولاً وفروعاً وميراثاً، وبالجملة سائر ما يجب أو يمتنع في محيط الأسرة، كالمهر والنفقة، والرضاع والحضانة والنسب والعدة والوصية. وتلك الأحكام في نحو السبعين من الآيات.

وفي أحكام المعاملات المالية: كالبيع والإجارة والرهن والمداينة والتجارة، وغير هذا نحو سبعين آية.

وفي أحكام الجنايات: كالقتل والسرقة والحرابة والزنا والقذف نحو ثلاثين آية.

وفي أحكام الحرب والسلم وما يجب على الحكام من العدل والمساواة والشورى، وسائر ما يجب عليهم للناس، وما يجب للناس عليهم جاءت آيات.

وفي تنظيم الحياة الاجتماعية، وعلاقة الأغنياء بالفقراء، وحقوق العمل مما يطلق عليه الآن اصطلاحاً: (العدل الاجتماعي) جاءت آيات.

هذا. ولم يتفق الباحثون في علوم القرآن على عدد آيات الأحكام؛ لاختلاف الأفهام وتعدد أوجه الدلالة.

بل إن من العلماء من ذهب إلى أن في القصص القرآني أحكامًا فوق ما يؤخذ منه من عبر وتذكرة.

---

(١) من الآية ٢١ من سورة الحشر.

منهج القرآن في بيان الأحكام

ولعلنا ونحن نتدارس القرآن في شهر رمضان نتعرف على منهج القرآن في بيان الأحكام، وآياته البينات في ذلك، وصلاحيتها للاستنباط منها كنص خاص حينا، وكقواعد تشريعية عامة أحياناً.

وذلك حتى يتوقف أولئك الذين لا تسعفهم مؤهلاتهم وقدراتهم الذاتية عن التصدي لبيان الأحكام والقول في دين الله بغير علم.

حيث تنوعت مناهج القرآن على النحو التالي:

١- لقد جاءت بعض آيات الأحكام بصيغة قاطعة ليست موضع اجتهاد في تحديد مدلولها، وذلك كآيات: فرض الصلاة والزكاة والحج والصوم، وكآيات المواريث حيث حددت أنصبة الوارثين، وكآيات تحريم الكبائر والزنا والقذف والخمر والقتل بغير حق وأكل أموال الناس بالباطل، وغير هذا مما اشتهر عند المسلمين وصار في حكم المعلوم من الدين بالضرورة، فلا يسوغ إنكاره والخروج عليه.

هذا بينما جاءت آيات أخرى بصيغة ظنية الدلالة بمعنى: (أنها تتحمل أكثر من معنى)، فلم يتحدد المراد منها على وجه القطع؛ بل هي بعبارتها قابلة للاجتهاد في فهم مدلولها، ومن ثم كانت مجالات للبحث وللاختلاف، ومن هذا النوع: تحديد القدر الذي يحرم في الرضاع، واستحقاق المطلقة طلاقاً بائناً النفقة على المطلق، وتحديد القدر الذي يمسح من الرأس في (آية الوضوء) وغير هذا من النصوص القرآنية التي كانت محل اختلاف المجتهدين في تحديد المراد منها.

والفرق بين هذين النوعين في النصوص:

أن الأول نص قطعي الدلالة، فصار حكمه مقطوعًا به، ومعلومًا من الدين بالضرورة، وبمنزلة العقائد بحيث أن من جحده يعتبر بهذا الجحود والإنكار خارجاً عن الإسلام.

بخلاف النوع الثاني فإن نصوصه وإن كانت قطعية الثبوت باعتبارها من القرآن. إلا أنها ليست قطعية الدلالة؛ لأن صيغتها بذاتها تحتمل أكثر من معنى، فمن أنكر فَهْمًا مُعَيَّنًا مما يحتمله نص قرآني من هذا القبيل لا يضره هذا الإنكار في إسلامه مادام يعتنق فهما آخر صحيحاً تحتمله الآية.

كما أن الصنف الأول واجب الاتباع عينا على كل الناس، فإن كل مجتهد يتبع فيه ما ترجح عنده، وكذلك المقلد فيه رأي أي مجتهد شاء أن يقلده.

ومن هذا النوع الثاني نشأت المذاهب الفقهية الإسلامية باختلاف آراء الفقهاء، واتسع نطاق ذلك الخلاف حتى وصلت الأقوال في بعض المسائل إلى سبعة أو ثمانية آراء، كما يظهر ذلك من مطالعة أقوال الفقهاء في حكم (انعقاد الزواج بدون ولي).

وفي (حكم القصاص في القتل بالإكراه) اختلف الفقهاء تبعا للاحتمالات العقلية في المسألة، فمن الفقهاء من قال بالقصاص وجوباً من المكره (بكسر الراء)، ومنهم من قال بالقصاص وجوبا في المكره (بفتح الراء) باعتباره المباشر، ومن الفقهاء من قال بوجوب القصاص منهما، ومن قال بعدم وجوبه على واحد منهما.

وهذا ومثله كثير في الفقه الإسلامي.

لا يصح أن يقال إن كل هذه الآراء دين يجب اتباعه؛ لأنها في جملتها آراء متناقضة متدافعة أو على الأقل متعارضة.

ولا ـ يقال كذلك: إن الدين واحد منها، لأنه شائع لا يعرف على التحديد، كما لا يصح أن يقال: إنه لا أولوية لبعض الأقوال على بعضها الآخر. والذي ينبغي أن يعلم في هذا وأمثاله أنها آراء وأفهام وللحاكم وللمقلد بوجه عام أن يعمل بأيها شاء في نطاق المصلحة.

هذا:

ولقد حذر الله من القول في الدين بغير علم، وحرم ذلك وجعله في المرتبة العليا من التحريم ذلك والله أعلم قول الله ـ تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأعراف.

وقال ـ سبحانه:

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾(١)

ففي الآية الأولى رتب الله المحرمات بادئاً بأخفها: الفواحش، ثم مبينا ما هو أشد: الإثم والظلم، ثم بكبيرها:

﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢)

وهذا عام في القول في ذات الله وصفاته ودينه وتشريعه.

وفي الآيات الأخرى أبان الله ـ سبحانه ـ أنه لا يجوز للمسلم أن يقول: هذا حرام وهذا حلال إلا إذا علم أن الله سبحانه وتعالى قد حرمه أو أحله.

وحين سأل الرسول ﷺ أميره على أحد الجيوش: علام تنزل عدوك إذا حاصرتهم؟ فقال: أنزلهم على حكم الله. نهاه عن هذا القول، وقال له:

«إنك لا تدري: أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟ ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك»(٣)

وبهذا: فإنه على المسلم الذي لم تتوافر لديه شروط الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأساسية ألا يتبع الهوى، أو أولئك الذين يقولون في الإسلام بغير علم؛ بل على المسلم أن لا يستفتي في أمور الدين إلا أهل الاختصاص الموثوق بدينهم والتزامهم.

ثانيا:

للقرآن أسلوبه الخاص في بيان الأحكام:

إذ لم يجر القرآن على الأسلوب المعروف في القوانين الوضعية حيث تذكر الأوامر والنواهي دون اقترانها بالمبررات.

وإنما جرى القرآن على أن يسوق الأحكام مقرونة بأنواع مختلفة من المعاني التي من شأنها أن تخلق في نفوس المخاطبين بها الهيبة والمراقبة والارتياح والشعور بالفائدة العاجلة والآجلة.

---

(١) الآية ١١٦ من سورة النحل.

(٢) من الآية ٣٣ من سورة الأعراف.

(٣) سنن ابن ماجه ـ كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام حـ ٢ ص ٩٥٣ط الحلبي.

ثالثا:

لم يتخذ القرآن في إيراد الأحكام المنهج الذي اعتاده الناس بذكر الأحكام المنظمة لموضوع واحد في مكان واحد، كالشأن في صناعة التقنين المعاصر. وإنما جاءت آيات الأحكام مفرقة في مواضع عديدة...

وقد يورد القرآن - مثلا - آيات خاصة بالطلاق والرضاع وأحكامهما، والخمر وتحريمها بين الآيات التي تتعلق بأحكام القتال وشؤون اليتامى.

نجد ذلك واضحا في قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾(1)

حيث جاءت بين آيات الطلاق، وما يتعلق به في ذات السورة.

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ ﴾(2)

حيث جاءت عقب آيات القتال والردة، وجاء بعدها آيات اليتامى كل ذلك في سورة البقرة

وأحكام الطلاق والزواج والرجعة جاءت في سورة البقرة والنساء والطلاق.

وهذا الطريق الذي سلكه القرآن يشير إلى أن جميع ما جاء فيه على اختلاف أماكنه وتنوع مواده وأحكامه هو وحدة عامة لا يجوز تفريقها في العمل، ولا الأخذ ببعضها دون بعض.

فهو حين يتحدث عن أحكام الأسرة يُذَكِّرُ بأن هذا لا ينبغي أن يشغل المسلم عن مراقبة الله، وأداء ما فرضه الله من عبادات على وجهها الصحيح.

رابعا:

آيات الأحكام بين التأصيل والتفصيل.

جاءت آيات الأحكام في الأكثر مؤصلة لا مفصلة، تشير إلى مقاصد التشريع وقواعده الكلية دون تتبع للوقائع وصورها وجزئياتها.

---

(1) من الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

(2) من الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

وبهذا ترك للمجتهدين مجال الفهم والاستنباط على ضوء ـ وفي نطاق ـ هذه القواعد، وتلك المقاصد التي ساقها في آياته، ويستعان بهذه القواعد، وبتلك المقاصد، في بيان ما جاء مجملا في القرن أو فيما سكت عنه القرآن.

في أن بعض آيات الأحكام قد جاءت مفصلة في بعض الموضوعات بعداً بها عن الجدل والاختلاف كما هو الشأن في الآيات التي تعرضت للعقيدة والعبادة، أو لأن الله فرض لها حكماً ثابتاً مستمراً على الوضع الذي حدده لابتنائها على أسباب لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة.

وهذا واضح في تشريع الميراث، والمحرمات في الزواج، وعقوبات بعض الجرائم.

وفي كثير من الأمور جاءت آيات الأحكام مجملة دون تفصيل ليحكم أهل الرأي على الصور المختلفة في دائرة ما بين القرآن من قواعد ومقاصد.

ومن أمثلة هذا: أنه عرض لحل البيع، والاستيثاق في الديون ولم يفصل أنواع البيوع ولا ما يلحقها من خيارات ومالا يلحقها، كما لم يذكر جزئيات ما يتعلق بالاستيثاق في الديون، وتفصيلات أحكامها.

وأمر القرآن بالعدل والقسط في الشهادة والقضاء، ولم يحصر الأدلة، ولا كيفية القضاء، ولا طرق رفع الدعاوى. مما يدخل الآن في نطاق قانوني المرافعات والإثبات.

ونجد آيات الأحكام حين عرضت لعقوبات بعض الجنايات، لم تفصل في بعض شروطها، أو ما يترتب عليها.

ففي حد السرقة: لم يحدد القرآن النصاب المستوجب للحد أي قيمة المسروق، وفي القتل: لم يذكر مقدار الدية في حال وجوبها.

وحين فرض الله الصوم في شهر رمضان نجد أن القرآن جاء مفصلا حقيقيته ومدته ورخصه، كما فصل أركان الحج والكثير من أحكامه، وحين ذكر الميراث بين نصيب كل وارث في حالاته المختلفة. بينما في مواضع أخرى جاء بمبادىء عامة كقاعدة: (دفع الضرر) وقاعدة: (الصلاح والفساد) وقاعدة: (سد الذرائع) وغير هذا مما أفرده العلماء بالذكر، وصار في حكم المعلوم من الدين بالضرورة.

أهل الذكر:

ولهذا أناط القرآن الاستنباط بأهل الذكر، وجعل لهم مكاناً ومكانة، وأمر الناس بالرجوع إليهم فيما يحتاجون إليه.

فقال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾(1)

وقال:

﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾(2)

وقال:

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(3)

وبهذه الآيات ونحوها حث القرآن على الاجتهاد في تعرف الأحكام، وعلى سؤال أهل العلم والمعرفة في هذا الشأن.

ولقد مهد الرسول ﷺ وأصحابه من بعده طريق الاجتهاد واستنباط الأحكام لمن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم، وبذلك وضح للناس مقدار سعة التشريعة الإسلامية وصلاحيتها للحكم على كل ما يجد في الحياة.

وهي بحق صالحة لتنظيم جميع الشؤون: اجتماعية أو فردية إلى يوم الدين، إذا صدقت النيات على العمل بأحكام الله امتثالا لواجب الإيمان بالقرآن كله، فلا

---

(1) من الآية ٥٩ من سورة النساء.

(2) من الآية ٨٣ من سورة النساء.

(3) من الآية ٤٣ من سورة النحل.

نأخذ ببعض الكتاب ونعرض عن بعض الأمر الذي عابه القرآن على أمم سابقة في قول الله تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾(١)

ولقد صدق الله وعده للناس ببيان الأحكام:

فقال في القرآن:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

طرق بيان الأحكام في القرآن:

في القرآن طريقان لبيان الأحكام:

أحدهما: الطريق الذي لم يسبق بسؤال، وهذا هو الأصل الغالب في توجيه الأوامر والنواهي إلى المؤمنين توجيهاً غير مسبوق بسؤال.

والقرآن يخاطبهم في هذا بوصف المؤمنين أو الإيمان استدعاء لما وقر في نفوسهم، واستقرت عليه قلوبهم من أصول العقيدة والإذعان لما ينزل على

---

(١) الأيتان ٨٥ ، ٨٦ من سورة النور.

(٢) الآية ١١٥ من سورة التوبة.

رسوله ﷺ ارشاداً لهم إلى أن ما يكلفون به من أحكام من مقتضى الإيمان وعهده ومواثيقه.

وأمثلة هذا في القرآن كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾(١)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾(٢)

وقوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾(٣)

وقوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾(٤)

وقد يقع التمهيد للحكم بتوجيه الخطاب إلى النبي ﷺ ومن خلاله يكون الحكم موجهاً إلى جميع الأمة كقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ ﴾(٥)

---

(١) من الآية ١٨٣ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة.

(٣) من الآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

(٤) من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

(٥) أول سورة الطلاق.

وقوله - سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١)

ومرة يذكر الحكم مجرداً عن النداء والخطاب كقوله - تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)

وقوله - تعالى:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾(٣)

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾(٤)

وقوله - سبحانه:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾(٥)

وهكذا نرى في آيات القرآن التشريعية آيات افتتحت بنداء وأخرى - وهي الغالبة - غير مفتتحة بالنداء.

---

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.
(٢) الآية ٢٢٤ من سورة البقرة.
(٣) من الآية ٢٢٥ من سورة البقرة.
(٤) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.
(٥) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

والطريق الآخر:

هو البيان الذي جاء في القرآن مسبوقاً بسؤال.

وهذا يكون بياناً لحكم لم يسبق بيانه واحتاج الناس إلى معرفته فسألوا عنه أو كشفاً لحكم سبق بيانه، ولكنه عند الناس في حاجة إلى إيضاح.

ولقد جاءت في القرآن الكريم إجابات لأسئلة وجهت إلى الرسول ﷺ.

من هذا قول الله - تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(١)

وكان هذا جواباً لسؤال أعرابي لرسول الله ﷺ حيث قال له: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟

ولقد أخذ العلماء من هذا أنه: لا ينبغي رفع الصوت في الدعاء ولا في العبادة إلا بالمقدار الذي لا يخل بالخشوع، ولا يقلق السامعين ويشوش عليهم.

وفي شأن الهلال سألوا: لم يبدو في أول الشهر دقيقا مثل الخيط ثم يعظم حيث يستوي ويستدير، ثم يعود كما كان؟

فنزل قول الله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(٢)

وهذا الجواب قد عدل بالسائلين عما يسألون عنه، وهو سبب هذه الظاهرة التي يشاهد عليها القمر في دورته الشهرية، مظهراً في الجواب الجانب الذي ينفعهم في حياتهم، وهو أنهم يوقتون بناء على هذه الظاهرة بعض العبادات:

---

(١) من الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

كالصوم والحج وبعض المعاملات كالبيع والمداينات، وهكذا أخذ بهم إلى الطريق الواقعي الذي يستوي فيه العالم والجاهل. وهو التوقيت بالسنة القمرية التي لا تتوقف على معرفة الحساب، والقرآن يوجه النظر دائما إلى الوسائل الطبيعية الفطرية التي تقع أمام الناس ويتساوى علمهم بها.

كما جاء السؤال عن الأشهر الحرم والقتال فيها، وأجاب القرآن عن هذا بقول الله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾(١)

فأبان بهذا الجواب: أن القتال في الشهر الحرام أمر مستنكر وقرر حرمة الشهر، ولكنه بين أن هناك ما هو أشد استنكاراً، وهو الصد عن سبيل الله والكفر به، والصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه.

كل واحدة من هذه الجرائم التي فعلها المشركون أو مجموعها أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.

ومن هذه الآية: أخذ العلماء قاعدة وجوب ارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بد من أحدهما.

وأسئلة وإجابات عن الخمر والميسر، وعن اليتامى ومخالطتهم والتعامل معهم، وعن النساء ونشوزهن أوعدم حل الزوجة أثناء دورتها الشهرية، وعن (ميراث الكلالة) الذي لا ولد له ولا والد حيث كانت الإجابة أن ميراثه يؤول لإخوته وأخواته أشقائه أو لأبيه.

ثم أسئلة عما أحل وعما حرم وإجابات في هذا الشأن كما في (سورة المائدة)، وعن الأنفال والغنائم في (سورة الأنفال). تلك مثل من أسئلة المؤمنين

---

(١) من الآية ٢١٧ من سورة البقرة.

التي وردت مع إجاباتها في القرآن الكريم جاءت في السور المدنية، وهذه السور هي التي حوت النسبة الغالبة من النصوص التشريعية.

على أنه كانت هناك أسئلة من غير المؤمنين وإجاباتها. وقد جاء أكثرها في السور المكية التي قامت بالدعوة إلى أصول الدين.

وهذه الأسئلة على ما هو باد منها ومن إجاباتها ـ كما جاءت في القرآن ـ تحمل روح الجدل والتحدي فيما يختص بالدعوة الإسلامية، فكان منها السؤال عن (الساعة) وعن (الروح) وعن الجبال ومصيرها، وعن بعض الشخصيات التاريخية.

نقرأ هذه الأسئلة وأجوبتها في سور الأعراف والإسراء والكهف وطه والأحزاب والنازعات.

وبتأمل نوعيات الأسئلة التي وردت في القرآن على ألسنة المؤمنين يتضح منها أن شأن المؤمن أن يسأل عما ينفعه في عباداته وفي معاملاته أو ما يجهل من عقائده.

فلا يسأل عن الأرواح بعد مفارقتها للجسد، وماذا تعمل، ولا عن كيفية عذاب القبر، ولا مساحة الجنة، ولا عن طبيعة أرضها وسماتها وغير هذا مما شغل به المسلمون أنفسهم الآن، مع أن هذا من الأمور الغيبية التي حجب علمها على الناس.

إن على المسلمين الإيمان المطلق بهذه الغيبيات من غير طلب لما أجمل أو أبهم منها.

وما دمنا نتحدث عن تساؤلات المؤمنين وإجابات القرآن عليها، فإنما نوجه النظر إلى أن الأَوْلَى بكل مسلم ـ إذا غاب عنه حكم من الأحكام الشرعية في

العبادات أو في المعاملات أو في أي أمر من أمور الدين ـ الأولى بكل مسلم ومسلمة ـ أن يلجأ إلى العلماء الموثوق بعلمهم ليبنوا أحكام الدين كما جرى على ذلك السلف الصالح امتثالا لقول الله تعالى:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

ولقد روي عن رسول الله ﷺ قوله:

«أفضل الصدقة أن يعلَّم المرءُ المسلمُ علما ثم يعلمه أخاه المسلم».(٢)

وقال ـ عليه الصلاة والسلام:

«من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع».(٣)

وقد قيل:

العلم خزائن مفاتيحها السؤال، فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحب لهم.

وعلى الأمة الإسلامية أن تحذر الأخذ في دينها عن غير العلماء بعقيدة الإسلام وشريعته حتى يتجنبوا الوقوع في الآثام، بل والخلافات بسبب الفتاوى التي تصدر ممن جهلوا أحكام الإسلام.

---

(١) من الآية ٢١٧ من سورة البقرة.
(٢) رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن أبي هريرة.
(٣) رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن.

أسماء القرآن

القرآن كتاب الله ـ سبحانه ـ الذي أنزله وحياً على رسول الله ﷺ . وقد سمى الله ـ سبحانه ـ هذا الكتاب أسماء عديدة منها:

١- القرآن.

ففي سورة القيامة:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ﴾[١]

جاء في لسان العرب: القرآن التنزيل، يقال: قرأه قراءة وقرآنا.

ومعنى القرآن: الجمع. وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها بعضها إلى بعض.

والقرآن في الأصل: مصدر، نحو غفران ورجحان.. وهو اسم لكتاب الله الجامع لثمرة الكتب السماوية السابقة، كما أنه جامع لثمرة جميع العلوم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في معنى الآيتين السابقتين:

إذا بينا لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك.

والتسمية بلفظ القرآن تشير إلى أنه فَصَّل وبَيَّن كل شيء.

كما أشار إلى ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة يوسف:

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢]

وفي سورة النحل:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٣]

---

(١) الآيتان ١٧، ١٨ من سورة القيامة.
(٢) من الآية ١١١ من سورة يوسف.
(٣) من الآية ٨٩ من سورة النحل.

ومن أسماء القرآن:

٢- الفرقان:

ففي سورة الأنفال:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[1]

أي نوراً وتوفيقاً، يفرق بين الحق والباطل..

فالفرقان في هذه الآية كالسكينة وهي: (وِجْدان) مصاحب ليقين النفس المؤمنة بالحق، المطمئنة إلى ثباته.

وفي ذات السورة:

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾[2]

أي اليوم الذي يفرق بين الحق والباطل، وقد قيل: إنه يوم موقعة بدر أول معركة بين المسلمين في المدينة وبين قريش، وكان أول لقاء حربي فرق الله فيه بالنصر بين الحق والباطل.

وبهذا المعنى جاء لفظ (الفرقان) اسماً على كلام الله سبحانه، لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقال، وبين الصالح وغير الصالح في الأعمال، وبين الصدق والكذب في المقال.

ولقد جاء هذا المعنى عاماً في القرآن وفي التوراة والإنجيل:

وذلك قول الله ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[3]

---

(١) من الآية ٢٩ من سورة الأنفال.

(٢) من الآية ٤١ من سورة الأنفال.

(٣) من الآية ٤٨ من سورة الأنبياء.

وقد تعين (الفرقان) اسماً للقرآن في قول الله ـ سبحانه ـ في سورة الفرقان:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(١)

وفي قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾(٢)

ومن أسماء القرآن:

٣- البرهان:

ومعناه الحجة المشرقة البيضاء بنور الحق، وهو الذي يقتضي الصدق دائما باعتباره آكد الأدلة.

وفي هذا يقول الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(٣)

وفي تقديم الدليل والبرهان يقال:

(أَبْرَهَ الرجلُ) على قوله: إذا أتى بالبرهان الناصع الدلالة. من (البَرَهِ) بمعنى البياض..

ومن هذا البياض والإشراق للحجة سمى الله القرآن الكريم الدال بآياته على أنه كلام رب العالمين (برهاناً).

ومن قبيل هذا قول الله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾(٤)

---

(١) الآية ١ من سورة الفرقان.

(٢) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(٣) من الآية ١١١ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٧٤ من سورة النساء.

وفي هذه الآية يجمع الله تعالى بين البرهان والنور المبين وصفاً للقرآن الكريم.

فالبرهان هو: النور المبين، الذي يبصر الناس به الطريق إلى الحق والحجة فلا تشتبه أمامهم المسالك ولا تتفرق بهم السبل.

وصدق الله:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(١)

ومن أسماء القرآن:

٤- الكتاب:

كما في قوله تعالى في سورة الحجر:

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾(٢)

وفي سورة القصص:

﴿ طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ ﴾(٣)

والكتاب في اللغة الضم:

ومن ذلك جاء معنى (الكتابة) وهو: ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط.

ويأتي الكتاب في غير معنى الخط، وإنما بمعنى الإثبات والتقرير والفرض والإيجاب. وفي هذا المعنى قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾(٤)

أي فرض الصوم عليكم كما كان مفروضاً على الأمم التي سبقت.

---

(١) من الآية ٤٠ من سورة النور.

(٢) أول سورة الحجر.

(٣) أول سورة القصص.

(٤) من الآية ١٨٣ من سورة البقرة.

وفي سورة التوبة:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾(١)

ومن أسماء القرآن:

٥- الذكر:

وهذه الكلمة يراد بها أحياناً: هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يجمعه من المعرفة، وهو بهذا المعنى كالحفظ، غير أن الحفظ يقال اعتبارا: بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره..

وأحيانا أخرى يراد بكلمة (الذكر): حضور المعنى على القلب أو على اللسان وكل منهما نوعان:

ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ والتذكر، وكل يقال له ذكر:

ومن الذكر بالقلب قول الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾(٢)

ومن الذكر باللسان قول الله ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ ﴾(٣)

وفي ذات السورة:

﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ ﴾(٤)

(١) من الآية ٥١ من سورة التوبة.

(٢) من الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

(٣) من الآية ١٠ من سورة الأنبياء.

(٤) من الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.

ويأتي الذكر مخصوصا بقول الله وكلامه المذكر به في مثل قوله سبحانه في سورة ص:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١)

إذ كلمة (ذكر) وهي مصدر في هذه الآية تقوم بعمل اسم الفاعل وهو (مذكر) حسبما يقال فلان عدل والمقصود ـ عادل.

ومن هنا أتى (الذكر) اسما لكل كتاب منزل من عند الله، وذلك في مثل قول الله ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾(٢)

أي من بعد التوراة وهي الكتاب الذي نزل قبله، ويحمل القرآن هذا الاسم (الذكر) كما في قول الله ـ تعالى ـ في سورة الحجر:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾(٣)

وفي سورة ص:

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾(٤)

وفي سورة فصلت:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴾(٥)

---

(١) الآية ٨٧ من سورة ص.
(٢) من الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء.
(٣) الآية ٩ من سورة الحجر.
(٤) من الآية ٨ من سورة ص.
(٥) الآية ٤١ من سورة فصلت.

ومن أسماء القرآن:

٦- الحق:

وأصل الحق: المطابقة والموافقة لحكمة الخالق سواء في قول الإنسان، وعمله أو في حركة الأشياء والموجودات، وبهذا المعنى وردت كلمة الحق في القرآن على أربعة أوجه.

الوجه الأول:

إن الحق الذي خلق الأشياء والأحياء بسبب ما تقتضيه الحكمة، وهو (الله) الذي من أسمائه (الحق).

ذلك قول الله في سورة الأنعام:

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[1]

وفي سورة يونس:

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾[2]

الوجه الثاني:

تطلق كلمة (الحق) على فعل الله الذي خلق كل شيء وحركه بمقتضى الحكمة كما في قول الله ـ تعالى ـ في سورة يونس:

﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾[3]

---

(١) من الآية ٦٢ من سورة الأنعام.

(٢) من الآية ٣٢ من سورة يونس.

(٣) من الآية ٥ من سورة يونس.

وفي ذات السورة: يونس:

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[1]

الوجه الثالث:

من إطلاقات كلمة (الحق) في القرآن:

إنها ترد في الاعتقاد المطابق لما عليه الأشياء، كما هي في مقتضى حكمة الله ـ تعالى ـ، وذلك كاعتقاد المؤمن أن البعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار حق.

وفي هذا المعنى قول الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾[2]

الوجه الرابع:

إن كلمة (الحق) تقال للفعل وللقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب. كما تقول لآخر: قولك حق وفعلك حق.

وفي هذا جاء قول الله ـ تعالى ـ في سورة غافر:

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ﴾[3]

وقوله ـ تعالى ـ في سورة الحاقة:

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾[4]

---

(١) الآية ٥٣ من سورة يونس.
(٢) من الآية ٢١٣ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٦ من سورة غافر.
(٤) الآيتان ١، ٢ من سورة الحاقة.

وهذا كله من الحق.

وإذا كان لفظ (الحق) بهذه المعاني التي هي غاية المؤمن ومدار عمله وقوله. كان حقاً حمل القرآن اسم الحق؛ لأنه قول الله الحق، والهادي بالحق إلى الحق، وذلك كما في قول الله تعالى في سورة الرعد:

﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾(١)

وفي سورة محمد:

﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾(٢)

ومن أسماء القرآن:

٧- النور:

وهو ضد الظلمة، وهو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار. وهو نوعان: دنيوي وأخروي.

والدنيوي نوعان:

أحدهما: نور محس يقع على الأشياء والموجودات، فتبصرها العين إذا اتجهت إليها.

والآخر: نور تعقله البصيرة وهو ما انتشر وحضر على القلب من نور العقل، ونور القرآن..

ومن المعنى الأول ـ وهو النور الذي يعين على الإبصار ـ نور الشمس والقمر، كما في قول الله في سورة يونس:

---

(١) من الآية ١ من سورة الرعد.

(٢) من الآية ٢ من سورة محمد.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾(1)

ومن النور الذي يفيض الله به على البصيرة قول الله ـ تعالى ـ عن الإيمان والحياة في سورة الأنعام:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾(2)

وقول الله ـ تعالى ـ في سورة الزمر:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(3)

ومن هذا النور: كتاب الله الذي يهدي به وهو واحد من أسماء القرآن وذلك

في قوله ـ تعالى ـ في سورة المائدة:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾(4)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة التغابن:

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾(5)

أما النور الأخروي ففي مثل قوله الله تعالى في وصف حال المؤمنين يوم القيامة ذلك قول الله تعالى في سورة التحريم:

---

(1) من الآية ٥ من سورة يونس.

(2) من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

(3) من الآية ٢٢ من سورة الزمر.

(4) من الآية ١٥ من سورة المائدة.

(5) من الآية ٨ من سورة التغابن.

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

ومن أسماء القرآن:

٨- الوحي:

وقد جاء هذا الاسم للقرآن نصاً في قوله تعالى في سورة طه:

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ ۖ (٢)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٣)

وأصل الوحي: (الرسالة)، و(الإلهام)، و(الكلام الخفي)، و(الإشارة اللامحة) التي تقوم مقام القول الصريح، كأن تكون رمزاً يقع في نفس الموحى إليه ويدركه بغير هيئة الكلام المعروف على ألسنة الناس، وقد تختلف هذه الإشارة بحيث لا يفهمها إلا المقصود بها.

ومن أجل هذا يسمى كل ما يلقيه الله إلى أنبيائه ورسله وحياً، إذ لا يفهمه ولا يعرف دلالته إلا الموحَى إليه من ربه؛ فإن كان الوحي مأموراً بتبليغه قام الموحى إليه بذلك، وإلا أمسك عن تبليغه واعتبره أمراً خاصاً به.

وفي هذا يقول الله ـ تعالى ـ عن عامة كلامه للبشر: (كما في سورة الشورى):

---

(١) الآية ٨ من سورة التحريم.

(٢) من الآية ١١٤ من سورة طه.

(٣) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء.

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾(١)

وفي سورة النساء:

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾(٢)

وفي سورة القصص:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٣)

وقد يكون الوحي بمعنى (الإلهام) لغير الإنسان من الحيوان. كما في قول الله ـ تعالى ـ في سورة النحل:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾(٤)

كما سمى الله أمره إلى السموات والأرض لتتحرك وتدور بأجرامها ونجومها ومجراتها بعلمه وسننه (وحياً) منه. كما في قول الله ـ تعالى ـ في سورة فصلت:

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾(٥)

ومن ثم كان إطلاق لفظ الوحي على كلام الله لأنبيائه ورسله وعلى القرآن الكريم.

وهكذا كان القرآن، ولايزال، هو هذا الوحي المشرق في كتاب الله المحفوظ في

---

(١) من الآية ٥١ من سورة الشورى.
(٢) من الآية ١٦٣ من سورة النساء.
(٣) من الآية ٧ من سورة القصص.
(٤) من الآية ٦٨ من سورة النحل.
(٥) من الآية ١٢ من سورة فصلت.

وعده، الخالد في حكمه، والثابت في علمه كما تلقاه رسول الله ﷺ، بالصورة التي لم يطلع عليها من البشر غيره، وقد سجل الله أحب أسماء القرآن الكريم في قوله ـ تعالى ـ في سورة النجم:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(١)

ومن أسماء القرآن:

٩- التنزيل:

وهذا وارد في قول الله ـ تعالى ـ في سورة الشعراء:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

والتنزيل مأخوذ من النزول:

والنزول في معناه العام: الحلول بعد رحلة، ويقال: نزل الرجل القوم، أو نزل بهم، أو نزل عليهم ـ إذا حل بدارهم ضيفاً.

والمنزل: الدار، والمنزلة: المكانة والدرجة.

والنُزُل: هو ما يقدم للضيف من طعام ورعاية، وهو أيضا العطاء والبركة، ومن هذا قول الله ـ تعالى ـ في سورة الكهف:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾(٣)

أي كانت هذه الجنات لهؤلاء منزلاً قِرى وإكراماً وفضلاً وبركة من الله تعالى.

---

(١) الآية ٤ من سورة النجم.

(٢) الآية ١٩٢ من سورة الشعراء.

(٣) من الآية ١٠٧ من سورة الكهف.

والقرآن قد أنزله الله ـ سبحانه ـ إنزالاً أي استقر به بعد رحلة الوحي عند النبي ﷺ ليبلغه وينذر به، وذلك كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة يوسف:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١)

وفي سورة ص:

﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾(٢)

ولقد نزل الله ـ سبحانه ـ القرآن تنزيلاً بمعنى أنه أنزله في مهلة وأناة، كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة الإسراء:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴾(٣)

ولقد كانت هذه (الأناة) في التنزيل مقصودة لكي يطمئن النبي ﷺ إلى حفظه ووعيه لما نزل إليه كما أنزل، وفي هذا يقول الله ـ تعالى – للنبي ﷺ:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾(٤)

وهذه الآيات تعطي أن الله سبحانه قد نزل القرآن تنزيلاً مطمئناً، متابعاً للأحداث، وملاحقاً للمدعوين إلى الإيمان به، مشرقاً عليهم من كل جانب، وفي كل موقف، وعند كل مسألة أو حاجة أو محاجة، حتى أتم الله به النعمة على المؤمنين، وأكمل الدين، وليستقر هذا التنزيل بعد ذلك في صدور وحياة المسلمين لأنه كما قال الله ـ تعالى ـ في سورة فصلت، وكما سيبقى بحول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(٥)

---

(١) الآية ٢ من سورة يوسف.

(٢) من الآية ٢٩ من سورة ص.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

(٤) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة القيامة.

(٥) الآية ٢ من سورة فصلت.

ومن أسماء القرآن:

١٠- الهدى:

وهذا كما جاء في قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾(١)

وقوله ـ سبحانه ـ في سورة النجم:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (٢)

وقول الله ـ تعالى ـ في سورة الجن:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ (٣)

والهداية: لطف الدلالة إلى الحق وإلى الخير، ومنه الهدية لأنها لطف الدلالة على الود والحب.

ومن المعاني الأولية للهدى أنه (النهار) إذ تكون في ضيائه الهداية إلى الطريق الصحيح.

وفي هذا المعنى الحسي يقال:

هداه الله الطريق، وهداه له، وهداه إليه.

ومن هذا الأصل يتسع المعنى ليصبح الهدى في عمومه وشموله هُدًى إلى الله وإلى الحق، وإلى الصراط المستقيم في رحلة الحياة.

والهداية من الله للإنسان على أربعة أوجه:

---

(١) الآيتان ١ ، ٢ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢٣ من سورة النجم.

(٣) من الآية ١٣ من سورة الجن.

الوجه الأول:

الهداية الفطرية التي أودعها الله بفطرة الحق في عموم البشر من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، التي بها يدرك الإنسان في مطلع مسؤوليته ورشده فارق الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والنافع من الضار.

وفي هذه الهداية بفطرة الحق يقول الله سبحانه في سورة الأعلى:

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾(١)

الوجه الثاني:

الهداية التي جاءت على لسان الرسل، ونزلت بها كتب الله وشرائعه.

وفي هذا يقول الله ـ تعالى ـ في سورة يونس:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾(٢)

الوجه الثالث:

التوفيق بالهداية لمن يخصهم الله بالهدى.

وهذا المعنى هو المقصود في قول الله ـ تعالى ـ في سورة محمد:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾(٣)

---

(١) الآية ٣ من سورة الأعلى.

(٢) من الآية ١٠٨ من سورة يونس.

(٣) من الآية ١٧ من سورة محمد.

وفي قول الله ـ سبحانه ـ في سورة العنكبوت:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾(1)

الوجه الرابع:

الهداية في الآخرة التي وصفها قول الله ـ سبحانه ـ في سورة الحج:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾(2)

أي أن مما أضفاه الله على الذين آمنوا وعملوا الصالحات من نعم أنهم أُرشِدُوا إلى الطيب من القول، وقد قيل: هو (لا إله إلا الله)، وقيل: (الحمد للّه)، وقيل: (القرآن)، وقد يكون كل ذلك (وهدوا إلى صراط الحميد) أي أنهم أُرْشِدُوا إلى الصراط المحمود أو إلى صراط الله الذي هو دينه القويم «الإسلام».

هذا: ولا يغيبن عن البال أن هذه الأوجة الأربعة من الهداية مترتب بعضها على بعض، بمعنى أن من لم يحصل له على الوجه الأول وهو هداية الفطرة لا يصح له الثاني، ومن لم يبلغ الهداية الثانية لم يدرك الثالثة والرابعة.

وهذه الهداية بأقسامها قد اختص الله وحده بها.

فالهدى من الله سبحانه وليس من الرسل أو من الدعاة أو الأئمة أو غيرهم، وإنما هم مبلغون لما تكون به وإليه الهداية من الله سبحانه.

وهذا واضح في قوله ـ تعالى ـ للنبي ﷺ في سورة البقرة:

﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾(3)

---

(1) من الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.
(2) الآية ٢٤ من سورة الحج.
(3) من الآية ٢٧٢ من سورة البقرة.

وقول الله ـ تعالى ـ في سورة القصص:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(١)

ولقد وجه الله العباد إلى تحري أسباب الهداية والأخذ بها تجاوباً مع ما أودع فطرتهم من طلبها وذلك هو ما يدل عليه قول الله ـ تعالى ـ في سورة الإسراء:

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾(٢)

ذلك أن الاهتداء هنا يتناول وجوه الاهتداء من: طلب الهداية ومن الاقتداء بالمؤمنين العاملين، ومن تحريها عند الصادقين من أهل العلم، ومن مباشرة فهم القرآن الكريم بالمداومة على تلاوته، وحسن الإنصات إليه، ومن التفكر في خلق السموات والأرض، وفي آيات الله في الآفاق وفي النفس.

وبهذا التفكر يضيق طريق المعصية وراء المؤمن، ويتسع أمامه طريق الهداية، ويزداد هدى الله وإشراقه على حواس المسلم ونفسه وعمله.

---

(١) من الآية ٥٦ من سورة القصص.
(٢) من الآية ١٥ من سورة الإسراء.

غلبة اسم القرآن

على باقي أسماء القرآن وشهرته

كان من بين الأسماء التي وردت عن القرآن في ذات القرآن كان اسم (القرآن) حتى صار هذا اللفظ هو الاسم الْعَلَم الدال عليه بغير مشاركة من الكتب المنزلة السابقة عليه.

ذلك أن جميع الكتب المنزلة على الرسل السابقين، والتي ورد ذكرها في القرآن قد شاركت في أسماء مثل: الكتاب، والذكر، والفرقان، والهدى، والنور، ولكنها انفردت بأسماء الأعلام عليها وهي: القرآن والتوراة والزبور والإنجيل.

ففي شأن التوراة جاء قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾(١)

وفي سورة الأنبياء

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾(٢)

وفي شأن الإنجيل جاء قول الله ـ تعالى ـ في سورة المائدة:

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾(٣)

وفي شأن جملة من الكتب السابقة جاء قول الله ـ تعالى ـ في سورة آل عمران:

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾(٤)

---

(١) من الآية ٥٣ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٤٨ من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية ٤٦ من سورة المائدة.

(٤) الآية ١٨٤ من سورة آل عمران.

وقد غلب اسم القرآن لأنه مأخوذ من أول كلمة نزلت في سورة العلق:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١)

فمن هذه الكلمة الآمرة التي بدأ بها نزول القرآن كانت هذه التسمية، وكان من خصائص القرآن التي ميزته عن سائر الكتب السابقة: أنه مأمور بقراءته وتلاوته وترتيله وحفظه. وقد يسر الله للرسول ﷺ حفظه، كما يسر حفظه للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وللكثيرين من الأمة، وهذا ما لم يحظ به كتاب سابق عليه. كما أن تلاوته عبادة، والتلاوة قراءة أي من مادة ذات اسم متفق مع (القرآن).

(١) الآية ١ من سورة العلق.

من صفات القرآن في القرآن

١- العربي:

قال الله ـ تعالى ـ في سورة يوسف:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١)

وفي سورة الرعد:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ ﴾(٢)

وفي سورة الزمر:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)

وفي سورة الدخان:

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(٤)

ومن هذه الآيات وغيرها يتضح أن صفة (العربي) هي من الصفات الأساسية للقرآن الكريم، كما وردت في آياته، وأنها تحدد من أول الأمر الارتباط الوثيق بين القرآن ـ بوصفه كلام الله، سبحانه ـ وبين الأمة العربية التي نزل بلسانها، والنبي العربي الذي أنزل عليه، والحق المبين الذي نزل به.

---

(١) الآية ٢ من سورة يوسف.

(٢) من الآية ٣٧ من سورة الرعد.

(٣) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة الزمر.

(٤) الآية ٥٨ من سورة الدخان.

وكلمة العربي تعني: الفصيح البين من الكلام، كما تعني المفصح المبين، والإعراب يعني: الإبانة والبيان، ولو لم يكن القرآن بلسان عربي مبين لما كان حجة على العرب الذين نزل بلسانهم، وعلى رسول عربي منهم. وهذه الحجة ظاهرة في قول الله ـ سبحانه ـ وفي سورة فصلت:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾(١)

وفي شأن نزول القرآن عربياً بلسان الرسول ﷺ يقول الله ـ تعالى ـ في سورة الدخان:

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

ويقول في سورة الشعراء:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾(٣)

ومن ثم كان القرآن بنزوله عربياً حجة على العرب الذين نزل بلسانهم وعلى رجل منهم.

ومن صفات القرآن:

٢- المبين:

وهذا الوصف جاء تأكيدا للوصف بأنه (عربي) وذلك كما في قول الله ـ سبحانه ـ في سورة النمل:

---

(١) من الآية ٤٤ من سورة فصلت.

(٢) الآية ٥٨ من سورة الدخان.

(٣) الآيتان ١٩٨ ، ١٩٩ من سورة الشعراء.

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(١)

وفي سورة المائدة:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾(٢)

ومعنى البيان: الكشف عن الشيء، وإظهاره بأداة اللغة الصالحة لذلك، وهو أعم من النطق في كلام الإنسان. وقد يكون البيان بقصد (التعجيز) كَرَدِّ ما كان يطلبه المشركون من رسلهم من الآيات الدالة على صدق دعوتهم وذلك مثل ما حكاه ـ سبحانه ـ في سورة إبراهيم من قولهم:

﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾(٣)

وقد يكون البيان بالاختيار لأحد أوجه البيان: (النطق) أو (الكتابة)، أو (الإشارة) وهذا ما يشير إليه قول الله ـ تعالى ـ في سورة النحل:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٤)

وقد يكون البيان شرحاً لمجمل أو مبهم كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة القيامة:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾(٥)

---

(١) الآية ١ من سورة النمل.

(٢) من الآية ١٥ من سورة المائدة.

(٣) من الآية ١٠ من سورة ابراهيم.

(٤) من الآية ٤٤ من سورة النحل.

(٥) الآية ١٩ من سورة القيامة.

ومن صفات القرآن:

٣- العجب:

كما جاء في قوله ـ تعالى ـ في سورة الجن:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾[١]

والعجب والتعجب: حالة تعرض للنفس عند طروء شيء أو أمر مثير لا يعرف سببه، ويقال للشيء الذي يتعجب منه:

(عجب).

كما يقال لما لم يعهد مثله: (عجيب).

وذلك ما يشير إليه قول الله ـ تعالى ـ في سورة يونس:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾[٢]

وقوله في سورة الرعد:

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾[٣]

وقوله ـ في سورة الكهف:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝ ﴾[٤]

ومن أوصاف القرآن:

٤- المبارك:

وهذا الوصف ورد في قول الله سبحانه في سورة الأنعام:

---

(١) من الآيتين ١ ، ٢ من سورة الجن.

(٢) من الآية ٢ من سورة يونس.

(٣) من الآية ٥ من سورة الرعد.

(٤) الآية ٩ من سورة الكهف.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾(١)

والمبارك من البركة، ومعناها: ثبوت الخير الإلهي في الشيء. كما في قول الله ـ تعالى ـ في سورة الأعراف:

((لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ))(٢)

وفي سورة ق:

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾(٣)

وفي البركة ـ أيضا ـ معنى: الاستقرار والثبات، والمبارك كوصف للقرآن يعني: ما فيه من الثبوت والاستقرار لكل ما حواه من الحق والخير.

وهذا ما يعنيه قول الله ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾(٤)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة ص:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾(٥)

أما قول الله ـ سبحانه ـ في شأن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ في سورة مريم:

---

(١) من الآية ١٥٥ من سورة الأنعام.
(٢) من الآية ٩٦ من سورة الأعراف.
(٣) من الآية ٩ من سورة ق.
(٤) من الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.
(٥) من الآية ٢٩ من سورة ص.

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[1]

فمعناه: أن الله جعله موضعاً للخيرات الإلهية.

وقول الله ـ تعالى ـ في سورة الفرقان:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ ﴾[2]

فيه تنبيه على ما يفيضه الله سبحانه على الناس من نعم بواسطة أجرام السماء.

وقول الله ـ سبحانه ـ في سورة المؤمنون:

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[3]

وفي سورة الفرقان:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[4]

المعني في ذلك اختصاص الله تعالى بنعمة الخلق، وخيرات القرآن، وكل ما جاء ذكره من هذه الخيرات بعد قوله ـ تعالى ـ (تبارك).

ومن صفات القرآن:

٥– ذو الذكر:

وقد جاء هذا في قول الله ـ تعالى ـ في سورة (ص) ـ وصفاً للقرآن:

---

(١) من الآية ٣١ من سورة مريم.
(٢) من الآية ٦١ من سورة الفرقان.
(٣) من الآية ١٤ من سورة المؤمنون.
(٤) الآية ١ من سورة الفرقان.

﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝ ﴾(١)

أي أن القرآن صاحب الشرف الرفيع، في سورة (ص) - وصفاً للقرآن:

من معاني (الذكر) أيضا: العظة والتذكير بكلام الله كما في قول الله - تعالى - في سورة (ص):

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

وقوله - تعالى - في سورة القمر:

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾(٣)

والمعنى يسرنا القرآن للتذكير بالحق والعظة بالحق..

ومن أوصاف القرآن:

٦- المصدق:

كما ورد في قول الله - تعالى - في سورة النساء:

﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾(٤)

وفي سورة النساء أيضا:

﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾(٥)

---

(١) الآية ١ من سورة ص.

(٢) الآية ٨٧ من سورة ص.

(٣) الآيات ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ من سورة القمر.

(٤) من الآية ١٢٢ من سورة النساء.

(٥) من الآية ٨٧ من سورة النساء.

والصدق أصله أن يكون في القول، ويعني: المطابقة بين القول والحال معاً، والكذب بخلافه.

والصدق في القول يشمل ما كان من خبره ماضياً ومستقبلاً أو وعداً أو غير ذلك..

والصدِّيق من أكثر من الصدق، أو من لم يكذب أبداً، أو هو وصف لمن صدق قوله واعتقاده، وحقق صدقُ فعله صدقَ قوله.

وبهذا المعنى جاء قول الله ـ تعالى ـ في سورة المائدة:

﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ (١)

وفي سورة مريم:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

وقد جاء في القرآن استعمال الصدق ونقيضه في معان ومواقع أُخَرَ.

أما صفة (الصدق) التي وردت في كتاب الله من صفات القرآن الكريم، فإنها تحقق وتؤكد الصدق الذي سبق في كتب الله السابقة.

بل تحقق صدق القرآن فعلاً، وأنه معجزة حقاً بإيمان الأمة العربية التي نزل بلغتها وإليها في بناء مجتمع المؤمنين حيث دخل الناس أفواجاً في هذا الدين. وذلك ما يشير إليه قوله الله ـ سبحانه في سورة البقرة:

﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٣)

---

(١) من الآية ٧٥ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٤١ من سورة مريم.

(٣) الآية ٩٧ من سورة البقرة.

وقوله في سورة المائدة:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾(١)

وفي سورة الأحقاف:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (٢)

ومن أوصاف القرآن:

٧- الحكيم:

كما في قول الله تعالى في سورة يس:

﴿ يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾(٣)

وفي سورة لقمان:

﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾ (٤)

والكتاب الحكيم أصله من الحكمة..

وهي: ما في كتاب الله من العلم والعدل والشريعة.

ومن الحكم أيضـا: أي حكم الله بين الناس بما أنزل في كـتـابه الحكيم من الشريعة والعلم. والعدل والوصايا والمعروف. وأصل الحكمة: العدل؛ إذ هي تجمع بين العلم والحلم، وهي الحكم القطعي فـيـمـا تدعو إليه الكتب المنزلة من الأمـر

---

(١) من الآية ٤٨ من سورة المائدة.
(٢) من الآية ١٢ من سورة الأحقاف.
(٣) الآيات ١ : ٣ من سورة يس.
(٤) الآيتان ١، ٢ من سورة لقمان.

بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيما يدعو إليه الحق من المروءة والإحسان وفضائل الأخلاق.

وجاءت الحكمة في القرآن بمعنى (وصايا الله، والحدود التي أوحى بها لسلوك المؤمن في كتابه المنزل على نبيه ﷺ) ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة الإسراء:

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾(١)

وقول الله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(٢)

كما جاءت الحكمة بمعنى الإلهام لعباد الله الصالحين بهذه الوصايا والحدود. وذلك في قوله ـ تعالى ـ في سورة لقمان:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾(٣)

وفي قوله ـ سبحانه ـ في سورة البقرة:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٤)

والآيات المحكمات في القرآن: هي التي أحكمت فلا يحتاج سماعها إلى تأويلها لبيانها، ومن هذه الآيات قوله ـ تعالى ـ في سورة الأنعام:

---

(١) من الآية ٣٩ من سورة الإسراء.
(٢) من الآية ١١٣ من سورة النساء.
(٣) من الآية ١٢من سورة لقمان.
(٤) من الآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[1]

ومن صفات القرآن:

ومعناه: أنه الذي يقهر غيره ولا يقهره غيره. وهو الله ـ سبحانه وتعالى.

وفي هذا يقول الله ـ تعالى ـ في سورة العنكبوت:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]

وفي سورة المنافقون:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[3]

وكما تأتي العزة مدحاً ـ كما في هذين المثالين من القرآن ـ تأتي ذماً كذلك إذا وصف بها الكافرون. كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة ص:

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[4]

ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية وهي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين: هي التعزيز، وهو في الحقيقة ذل كما قيل: (كل عز ليس بالله فهو ذل).

---

(١) من الآية ١٥١ من سورة الأنعام.

(٢) من الآية ٢٦ من سورة العنكبوت.

(٣) من الآية ٨ من سورة المنافقون.

(٤) من الآية ٢ من سورة ص.

وعلى هذا قوله ـ تعالى ـ في سورة مريم:

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾(1)

أي ليتمنعوا به من العذاب.

وقوله تعالى في سورة فاطر:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾(2)

معناه من كان يريد أن يعز يحتاج أن يكتسب منه تعالى العزة فإنها له، وقد تستعار العزة للحمية والأنفة المذمومة وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾(3)

وقال:

﴿ تُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ (4)

يقال: عز عليّ كذا: صعب، وعزه كذا: غلبه، وقيل من عزّ بزّ أي من غلب سلب قال ـ تعالى: (وعزني في الخطاب) أي غلبني، وقيل: معناه صار أعز مني في المخاطبة والمخاصمة. وعز المطر الأرض غلبها، وشاة عزوز: قل درها، وعز الشيء: قلّ، اعتباراً بما قيل كل موجود مملول، وكل مفقود مطلوب، وقوله: (إنه لكتاب عزيز) أي يصعب مناله ووجود مثله.

---

(1) الآية ٨١ من سورة مريم.

(2) من الآية ١٠ من سورة فاطر.

(3) من الآية ٢٠٦ من سورة البقرة.

(4) من الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

ومن أوصاف القرآن:

٩- الكريم:

وذلك كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة الواقعة:

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ ﴾(١)

والكرم، في الأصل: ضد اللؤم، ومنه الكرامة، وهو يعني الجودة والأصالة والزيادة،ومنه التكرم: أي التنزه عما يشين.

والكرم ـ في جانب الله ـ سبحانه: اسم لظاهر إحسانه وإنعامه وفضله على مخلوقاته نحو قول الله ـ تعالى ـ في سورة النمل:

﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾(٢)

أما الكرم ـ في جانب الإنسان ـ فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه.

ولا يقال: إن فلانا كريم إلا إذا ظهر ذلك منه وتأكد.

ويأتي الكرم في مجال التنافس على رضاء الله؛ بأن يقصد الكريم بأفعاله ومحاسنه وجه الله وتقواه. حسبما يشير قول الله ـ تعالى ـ في سورة الحجرات:

﴿ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(٣)

---

(١) الآيتان ٧٧ ، ٧٨ من سورة الواقعة.
(٢) من الآية ٤٠ من سورة النمل.
(٣) من الآية ١٣ من سورة الحجرات.

ومن ثم يكون وصف القرآن بـ(الكريم) اسماً على معنى عطاء الله الذي ينفرد به من الذكر والعلم والهداية والأمن والعزة والتوفيق.

ومن أوصاف القرآن:

١٠- المجيد:

وقد جاء هذا الوصف للقرآن في قول الله ـ تعالى ـ في سورة (ق).

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ (١)

وفي قوله ـ سبحانه ـ في سورة البروج:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٢)

والمجيد ـ في صفات القرآن الكريم: من المجد بمعنى السعة في الكرم والجلال.

وأما في صفات الله فمعنى «المجيد»: أي الذي يجري السعة في بذل الفضل المختص به.

استحباب التطهر للقراءة:

وقد استحب العلماء الطهارة للقراءة، كطهارة الصلاة، والتزين بالملابس، كما يتجمل للقاء الناس؛ إذ بتلاوة القرآن يناجي المسلم ربه ويكون بين يديه؛ فكأنه في الصلاة، كما يستحب استقبال القبلة جالسا حال التلاوة.

هذا: ويحرم على الجنب والحائض والنفساء تلاوة القرآن. ويستحب كذلك التعوذ قبل القراءة، ولابد من قراءة البسملة أول كل سورة تحرزاً مما قال به الإمام الشافعي من: أن البسملة آية من كل سورة.

ولتكن تلاوة القرآن أخذاً من أهل الإتقان. فقد كان النبي ﷺ يجتمع به جبريل ـ عليه السلام ـ في رمضان فيدارسه القرآن.

---

(١) الآية ١ من سورة ق.

(٢) الآية ٢١ من سورة البروج.

أحكام مس المصحف

لقد عظم الله كتابه (القرآن الكريم) وأحاطه بالإجلال والبهاء، وأولاه الدرجة العليا من الإكبار والرعاية. ذلك لأن المصحف يحتوي كلام الله، فلابد وأن يكون موضع التقدير والتكريم امتثالا لحكم الله وأمره في قوله - تعالى - في سورة الواقعة:

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]

فكان لزاماً على كل مسلم ومسلمة - إذا أراد مس المصحف أو حمله - أن يتطهر من الحدثين الأكبر والأصغر، ويحرم قطعا على كل مسلم ومسلمة حمل المصحف أو مسه أو نقله من مكان إلى آخر في حال التلبس بأحد الحدثين.

وهذا ما قال به جمهور الأئمة منهم مالك والشافعي وأحمد، والمشهور عن أبي حنيفة استدلالا بآيات سورة الواقعة التي تلوناها، لأن الظاهر أن الضمير يمسه يعود إلى القرآن الكريم، لأنه المحدث عنه.

ولفظ (المطهرون) في الآية عام؛ فيحمل على المتطهرين من الحدثين الأكبر والأصغر إذ لا قرينة تخصه بأحدهما.

ويدل لذلك - أيضا - ما أخرجه البيهقي وغيره من أن الرسول - ﷺ - بعث (عمرو بن حزم) إلى (نجران) ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن، ويأخذ الصدقات - أي الزكاة - وكتب له كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات وفيه: (أن لا يمس القرآن إلا طاهر).

وفي حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما الذي رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) أن رسول الله - ﷺ - قال:

«لا يمس المصحف إلا طاهر».

---

(١) الآيات ٧٧ : ٧٩ من سورة الواقعة.

وأما المحدث حدثاً أكبر والحائض والنفساء فالإجماع منعقد على أن مسهم أو أَحَدَهم للمصحف محرم وكذلك حمل المصحف.

كذلك يحرم كل ما من شأنه أن يتنافى وقدسية المصحف الشريف أو يحط قدره نحو:

إلقاء المصحف باليد مستهينا به؛ فإن هذا محرم شرعاً، بل قد يجر إلى الخروج عن الإسلام.

ونحو أن يجعل المصحف وسادة للاتكاء عليه.

أو يوضع في مكان القدم، أو مقابلاً للرجلين.

أو وضع شيء عليه من كتب ونحوها مهما كانت مادة هذه الكتب، لما في هذا من المهانة لقدره.

منع المصحف من فاقدي الأهلية:

ويمنع المصحف من أيدي فاقدي الأهلية كالمجنون والمعتوه والصبيان غير المميزين، ويحرم على ولي كل من هؤلاء تمكينهم من مس، المصحف أو حمله فإن لم يفعل وأهمل كان آثماً.

مدى حرمة المس:

وحرمة مس المصحف تسري على بعضه كالألواح والصحف، التي يكتب فيها بعض آياته، ولا فرق في حرمة المس بين الجزء المشغول بألفاظ القرآن والخالي منها: أي الهامش مثلا أو الأوراق الخالية التي توجد في أول المصحف وفي آخره؛ بل ويحرم مس الجلد اللاصق بالمصحف في حال التلبس بالحدثين الأكبر والأصغر وللحائض والنفساء.

أما آيات القرآن المندرجة في الكتب فلا يحرم مس هذه الكتب إلا إذا كانت كتب تفسير، وكان القرآن فيها غالباً، إذ إنها في هذه الحالة تعتبر مصحفاً أو جزءاً منه. أما إذا غلب التفسير أو الفقه أو غيرهما من العلوم فلا تشترط الطهارة للمس أو الحمل.

من يُبَاح له المس:

هذا ويباح للصغار وللكبار الذين يتعلمون كتابة القرآن أو حفظه أن يمسوا المصحف والألواح التي يكتبونها دون إلزامهم بالتطهر لما في هذا من المشقة والحرج، والصرف عن تعلم القرآن وحفظه، ولا تحرم كتابة بعض آيات القرآن الكريم في الكتب المتبادلة بين الناس، ولا يشترط لمسها أو حملها الطهارة.

ذلك لأن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل عظيم الروم كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، وفيه بعض آيات القرآن الكريم، وهرقل كافر.

فدل هذا على أن كتابة بعض القرآن في الخطابات المتبادلة بين الناس مباح.

قراءة القرآن

أجمع المسلمون على جوازها بالنسبة للمحدث حدثاً أصغر، بشرط ألا يمس المصحف، أي بأن تكون تلاوته من حفظه، فإذا كانت قراءته من المصحف وجب التطهر، وحرم المس ما لم يكن متعلماً يحاول الحفظ.

والأفضل للمسلم أن لا يتلوا القرآن إلا وهو متطهر بأن يتوضأ قبل القراءة؛ لأن تلاوة القرآن عبادة.

أما المحدث حدثاً أكبر ـ وهو الجنب وكذلك الحائض والنفساء ـ فيحرم شرعاً على كل منهم قراءة شيء من القرآن ـ كثيراً ـ أو قليلاً ـ لما رواه أبوداود عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ لم يكن يحجبه شيء عن القرآن إلا الجنابة، ولفظ الترمذي: «كان يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً».

وفي حديث آخر عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال:

«رأيت رسول الله ﷺ توضأ، ثم قرأ شيئا من القرآن ثم قال: هكذا من ليس بجنب، أما الجنب فلا. ولا آية».

وحرمة التلاوة للقرآن. أو لشيء منه على الجنب والحائض والنفساء إذا قصد القراءة ـ وحدها ـ أو قصدها ذكراً لله ـ تعالى مع التلاوة، أما إذا قصد الذكر وحده كقوله في ابتداء الأكل: «بسم الله الرحمن الرحيم» أو عند ركوب وسيلة من وسائل السفر

فلا حرمة في هذه الأحوال؛ لأن المقصود الذكر فقط.

وذكر الله ودعاؤه مباح على غير طهارة بشرط: أن يكون المقصود هو الذكر والدعاء. أو واحد منهما، حتى ولو كانت عبارة الذكر أو الدعاء آية من القرآن.

متى تحرق أوراق المصحف؟

أما إذا بلي المصحف أو بعضه، ولم تعد الأوراق البالية صالحة للاستعمال، أو كان المصحف به أخطاء مطبعية أو خطية محرفة للقرآن، فلا يجوز تمزيق أية ورقة منه أو إهمالها أو وضعها في شق ونحوه، لأن هذا يعرض الأوراق التي فيها القرآن للمهانة والتحقير؛ بل الواجب في هذه الحال حرقها في النار حتى لا يكون لها أثرها، اتباعاً لما فعله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حيث أحرق المصاحف التي كانت بها آيات وقراءات منسوخة، وطبعا كانت فيها آيات محكمة وقراءات ثابتة، وكان ذلك بمحضر من الصحابة، ولم ينكر عليه أحد منهم فعله.

آداب تلاوة القرآن:

إنه لحق على كل مسلم ومسلمة تلاوة القرآن وترتيله، وحفظ بعض آياته بمقدار ما يؤديه في صلواته على الأقل.

قال الله ـ سبحانه:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾(١)

وقال:

﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾(٢)

والترتيل: تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه، وأن يسكت بين النَّفَسِ حتى يرجع إليه نفسه. فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله. فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد. وإن كان يقرأ تعظيما لفظ به على التعظيم.

---

(١) الآية ١٠٦ من سورة الإسراء.
(٢) من الآية ٤ من سورة المزمل.

وعلى المسلم حين يتلو القرآن أن يأخذ نفسه وأهله بما فيه من أحكام، ذلك قوله ـ تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾(١)

وقوله:

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾(٢)

إذ بمقتضى هاتين الآيتين وغيرهما صار كل أحد مسؤولاً عن أمر أهله في صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم في طهاراتهم وجناباتهم وحيض النساء ونفاسهن.

نعم:

على كل أحد أن يتفقد أهله بالسؤال في أمور الحلال والحرام والعبادات؛ فقد وضع لنا رسول الله ﷺ ذلك المبدأ؛ بل حمَّل الآباء والأمهات مسؤولية تنشئة الصغار على الدين وتعليمهم أحكامه في قوله:

«مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين»(٣)

ولا شك أن تعليم الصلاة يقتضي تعليم الطهارة على نحو ما جاء به القرآن في قوله ـ تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ

(١) من الآية ٦ من سورة التحريم.
(٢) من الآية ١٣٢ من سورة طه.
(٣) رواه أحمد وأبو دواد.

فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]

حيث بينت الآية الوضوء والاغتسال والتيمم، كما يقتضي القرآن، بالقدر الذي تصح به الصلاة على الأقل.

ومن آداب التلاوة

أن يفصل القارىء للقرآن كل سورة عما قبلها، ويحسن أن يكون ذلك بالبسملة.

وأن لا يقرأ من أخرى إلا بعد الفراغ من الأولى.

روى البيهقي بسنده قال: «كان النبي ﷺ يقطع قراءاته آية آية» ثم عقب بقوله: «ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات مع تتبع الأغراض والمقاصد».

وعلى قارىء القرآن:

أن يجتنب تلاوته في الأماكن القذرة.

وفي الأسواق حيث يكثر اللغو

والإعراض عن التدبر والفهم.

ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع.

فقد روى أبوداود بسنده قول رسول الله ﷺ:

«اقرأ القرآن في كل سبع ولاتزد».

والصحيح: أن ذلك يختلف من شخص لآخر حسب النشاط والضعف والحرص على التلاوة والانشغال.

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

والأولى للمسلم أن يداوم على التلاوة، وأن يجعل القرآن ورده الدائم، لأنه مناجاة الله ـ سبحانه ـ بكلامه، والحديث السالف الذكر ورد في مناسبة خاصة.

هذا: وقد روى البيهقي في (دلائل النبوة) أن النبي ﷺ:

كان يدعو عند ختم القرآن:

«اللهم ارحمني بالقرآن.. واجعله لي أماناً ونوراً.. وهدى ورحمة

اللهم ذكرني منه ما نسيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل، واجعله لي حجة يا رب العالمين».

حكم تعليم القرآن:

هذا.. وتعليم القرآن بوجه عام فرض كفاية، لكن حفظه واجب على الأمة، بحيث لا ينقطع عدد التواتر فيه، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف.

فإن قام بذلك جماعة من الأمة سقط عن الباقين، وإلا فالكل آثم. فإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم.

ومثل هذا ـ في الحكم ـ المفتي والمدرس، لا إثم عليهما بالامتناع عن الفتوى والتعليم إذا كان هناك من يصلح لذلك.

أما إذا لم يوجد من يصلح، لم يجز شرعاً الامتناع عن الفتوى أو التعليم، كالمصلي الذي يريد تعلم سورة الفاتحة، ولا يوجد غير معلم واحد، وجب على هذا تعليمه السورة، وإلا كان آثماً.

وينبغي أن تكون تلاوة القرآن وتعليمه على الترتيب المعهود بالمصحف للآيات والسور؛ فقد انعقد الإجماع على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على ذلك الوجه الثابت بالمصحف كان بتوقيف من رسول الله ﷺ عن الله تعالى، وأنه لا مجال للرأي ولا للاجتهاد فيه، حيث إنه كان ينزل جبريل ـ عليه السلام ـ بالآية والآيات

على الرسول ﷺ، ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النبي ﷺ على أصحابه مبلغا، ويأمر كُتاب الوحي بكتابتها مبيناً لهم السورة التي تكون منها الآية، وموضع الآية من هذه السورة.

وكان يتلوه عليهم مراراً في الصلاة والعظات، وفي الحكم والأحكام.

وقد كان الرسول ﷺ يعارض به جبريل كل عام مرة، وفي العام الأخير من حياته عارضه مرتين.

كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا الآن في المصاحف ونقل كذلك بالتواتر، بعد أن جمع على هذا الترتيب في عهد أبي بكر، ثم في عهد عثمان ـ رضي الله عنهما ـ، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة مثبتة في كتب السنة. وكلها تنطق بأن الرسول ـ ﷺ ـ كان يقرأ في صلواته سوراً بأكملها.

أما ترتيب السور على الوجه الوارد بالمصاحف فقد اختلفت كلمة العلماء في شأنه إلى ثلاثة أقوال:

(أ) أن هذا الترتيب ليس توقيفاً من النبي ﷺ، ولكن كان باجتهاد من الصحابة.

(ب) أن ذلك الترتيب كله توقيفي بتعليم رسول الله ﷺ.

(جـ) أن ترتيب بعض السور توقيفي، وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة.

ولكل فريق من أصحاب هذه الآراء أدلة أوردها مستندا إليها. وسواء أكان ترتيب السور توقيفياً كله أو بعضه أو اجتهادياً كذلك؛ فإنه ينبغي احترامه والوقوف عنده. لاسيما في المصاحف؛ لأنه إجماع الصحابة، والإجماع حجة؛ ولأن خلافَهُ يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب. لكن ترتيب السور في التلاوة ليس بواجب وإنما هو مندوب.

فإذا خالف القارىء في الصلاة أو خارجها فقرأ سورة، ثم قرأ سورة قبلها جاز ذلك، وإن كره جماعة من العلماء مخالفة ترتيب المصحف. لما رواه أبوداود عن الحسن من أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على ترتيبه في المصحف. ولما رواه أبوداود أيضا ـ بإسناد صحيح ـ عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قيل له: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً فقال: (ذلك منكوس القلب).

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها، فممنوع منعاً باتاً؛ لأنه يذهب بعض أوجه الإعجاز، ويزيل ترتيب الآيات الثابت توقيفاً.

أما تعليم الصبيان أو المبتدىء من آخر المصحف إلى أوله فحسن، لما فيه من تسهيل الحفظ، فضلا عن أنه تلاوة منفصلة في مجالس وأيام متعددة.

عدد الآيات في كل سورة:

الآية: طائفة من القرآن لها بدء ونهاية، وتحديدها توقيفي مأخوذ عن رسول الله ﷺ واختلاف السلف في عدد الآيات عموما، وفي عدد آيات بعض السور خاصة، مرجعه إلى اختلاف السامعين عن الرسول ﷺ في ضبط الوقف والوصل، فالمعروف أنه ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتعليم والتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فوهم بعض السامعين عند الوصل أن ليس ثمت فصل، ومن هنا كان الخلاف في عدد الآيات.

عدد الكلمات والحروف:

كتب بعض الناس عَدّاً لكلمات القرآن، بل لحروفه واختلفوا في ذلك اختلافاً بيناً. وقد قيل: إن سبب الاختلاف في العدد أن الكلمة في القرآن لها حقيقة ومجاز، ولفظ ورسم، واعتبار كل منهما جائز، وقد اعتبر كل واحد من العلماء في عده أحد ما هو جائز، لاسيما في رسم المنطوق من الألفاظ.

قال السخاوي:

(لا أعلم لعد الكلمات والحروف من فائدة؛ لأن ذلك ـ إن أفاد ـ يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان.. والقرآن لا يمكن فيه ذلك).

والمحاولات التي يجريها بعض الناس الآن لعد حروف القرآن أو كلماته بالآلات الحاسبة لا طائل تحتها، ولا تعتبر خدمة لكتاب الله ـ تعالى ـ أو ملحقة بعلوم القرآن.. فقد جرت عبارات العرب قديما على إطلاق اسم الكلمة على جملة من الكلمات. (وكلمة بها كلام قد يؤم)

والأَوْلَى صرف الهمة والجهد إلى ما وراءه المنفعة للمسلمين والحفاظ على الكتاب المبين.

أخذ الأجر على تعليم القرآن:

وبهذه المناسبة: يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن وتحفيظه. ففي صحيح البخاري: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله».

ووردت السنة الصحيحة أن الرسول ﷺ جعل تعليم القرآن مهراً فزوج أحد الصحابة امرأة بما معه من القرآن.

والأفضل للمتعلم أن يشرط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة.

وعلى كل مسلم ومسلمة أن يداوم على تلاوة القرآن، بعد أن يتعلم هذه التلاوة وآدابها وأحكامها؛ فإن الله قد أثنى على من كان دأبه آياته. فقال:

﴿ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ (١)

---

(١) من الآية ١١٣ من سورة آل عمران.

وقوله ـ ﷺ ـ إذا آوى إلى فراشه:

«اللهم رب السموات السبع، ورب الأرضين، وربنا ورب كل شيء، فالق الحَب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن. أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذٌ بناصيته. أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عني الدَّيْن، وأغنِنِي من الفَقر».(١)

وقوله ﷺ: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر».

وفي سياق كلام لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حينما عهد إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة قال:

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٢)

لكن الاقتباس من القرآن ينبغي أن يكون في موضع الإجلال، فيحرم الاقتباس في الأغاني وأمثالها، أو في مجالس اللهو، ومن فعل ذلك كان مستهزئاً بالقرآن، وتلك كبيرة من الكبائر ينبغي منعها.

المحكم والمتشابه في القرآن:

من معاني المحكم في القرآن أنه: ما لا تتوقف معرفته على بيان.

ومن معاني المتشابه أنه: ما لا يرجى بيانه.

وقد نقلت ثلاثة أقوال في (المحكم) و(المتشابه) في القرآن:

١- أحدها أن القرآن كله محكم لقوله تعالى:

﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ (٣)

---

(١) رواه أحمد ٢/٥٣٦

(٢) من الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٣) من الآية ١ من سورة هود.

٢- أن القرآن كله متشابه لقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾(١)

٣- أن من القرآن (محكماً) وأن منه (متشابهاً)، وهذا هو الصحيح لقوله تعالى:

﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٢)

ولقد تحدث العلماء في المحكم والمتشابه في القرآن، واختلفوا في مدلول كل منهما، وأولاها بالقبول:

أن المحكم من القرآن ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر.

أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول والمشترك على ما قرره علماء أصول الفقه في موضعه من بحوثهم.

المتشابه في القرآن:

وأصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ، والمعنيان مختلفان. قال الله عز وجل - في سورة البقرة في وصف ثمر الجنة: (وَأُتُوابِهِ مُتَشَابِهاً) أي أنه متفق المناظر، مختلف الطعوم.

وقال أيضا في سورة البقرة (تشابهت قلوبهم) أي يشبه بعضها بعضًا في القسوة والكفر. ومنه يقال: (اشتبه عليَّ الأمر) إذ اشتبه غيره فلم تكد تفرق

(١) من الآية ٢٣ من سورة الزمر

(٢) من الآية ٧ من سورة آل عمران

بينهما، و(شبهت علي) إذا لبست الحق بالباطل، ومنه قيل ـ للسحرة وأمثالهم: أصحاب الشبه؛ لأنهم يشبهون الباطل بالحق.

ثم إنه يقال ـ لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ومن ثم قيل ـ للحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن ـ متشابه أي لخفاء المقصود منها، وليس للشك فيها أو لمشاكلتها غيرها والتباسها بها.

ومثل المتشابه (المشكل)، وسمي مشكلا لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره، فأشبهه وشاكله.

حكمة ورود المتشابه في القرآن:

لقد نزل القرآن بألفاظ العرب ومعانيه ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والتوكيد والإطالة، والإشارة إلى الشيء، وإخفاء بعض المعاني بحيث لا يدركها إلا اللبيب سريع الفهم، وإظهار بعض المعاني وضرب الأمثال لما خفي.

ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس، وماتت الخواطر.

ولكن مع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة.

ولكل باب من أبواب العلم عنوان من الفقه والفرائض والحساب والنحو، ومنه ما يدق فهمه ويغمض القصد منه، وليرتقي المتعلم فهماً ـ رتبة بعد رتبة ـ حتى يدرك منتهاه، ويبلغ أقصاه، ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستنباط، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية، وبذل الجهد، ولو كانت العلوم شيئا واحدا لم يكن عالم ولا متعلم ولا خفي ولا جلي؛ لأن فضائل الأشياء إنما تعرف بأضدادها، فالخير يعرف بالشر، والحلو بالمر والقليل بالكثير.

ومن ثم كان المتشابه في القرآن من الله الذي أراد لعباده - بالقرآن - الهدى والتبيان حَفْزَ الهِمَم إلى استظهار أسراره ومكنونه ونشراً لعلومه.

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾[1]

أنواع المتشابه:

١- ما لا يستطيع الناس جميعا أن يصلوا إلى معناه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته، وكالعلم بالمغيبات التي استأثر الله - تعالى - بعلمها.

قال - تعالى - في سورة لقمان:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2]

٢- إن المتشابه ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس كالمتشابهات التي نشأت من الإجمال والمشترك.

٣- أو هو ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم كتلك المعاني السامية التي يصل إليها أهل الاجتهاد من خاصة العلماء. مثل استدلال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - بقوله - تعالى - في سورة النساء:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3]

---

(١) من الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

(٣) الآية ١١٥ من سورة النساء.

ذلك أن الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ اتخذ من هذه الآية دليلاً على حجية الإجماع. أخرج البيهقي بسنده عن المزني أو الربيع قال: كنا يوما عند الشافعي إذ جاء شيخ عليه جبة صوف وعمامة وإزار صوف، وفي يده عكاز، فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه واستوى جالساً، وسلم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له إذ قال له الشيخ: ما الحجة في دين الله؟. قال: كتاب الله، قال: وماذا..؟ قال: وسنة رسول الله ﷺ. قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلت اتفاق الأمة....؟ من كتاب الله ؟ قال: فتدبر الشافعي ساعة. فقال للشافعي: قد أجلتك ثلاثة أيام ولياليها؛ فإن جئت بحجة من كتاب الله في الاتفاق، وإلا تب إلى الله فتغير لون الشافعي. ثم إنه ذهب فلم يخرج إلا بعد ثلاثة أيام ولياليهن.

قال: فخرج إلينا من اليوم الثالث وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه، فجلس، فلم يكن بأسرع إذ جاءه الشيخ وسلم وجلس، فقال: حاجتي. فقال الشافعي: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم قال الله ـ تعالى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾(١)

ثم قال:

لا يصليه على خلاف المؤمن إلا وهو فرض. فقال الشيخ: صدقت. وقام فذهب فلما ذهب الرجل قال الشافعي:

قرأت القرآن كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقفت على هذا الدليل من هذه الآية، ولا شك أن هذه الآية: (ومن يشاقق الرسول) وإن كانت ظاهرة المعنى للقارىء العادي إلا أن لخواص العلماء فيها فهما أعمق.

---

(١) الآية ١١٥ من سورة النساء.

ذلك أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - اتخذ منها دليلا على حجية الإجماع، وذلك ما لا يصل إليه عامة الناس عند تلاوتها.

فالآية - بالنسبة لإمام مجتهد كالشافعي - لها دلالات متنوعة، منها: أنها جعلت إجماع الأمة حجة ودليلاً شرعياً.

الخلاصة:

أن المتشابه في القرآن - والله أعلم - ثلاثة أنواع:

١- نوع لا سبيل إلى الوقوف على المراد منه كوقت القيامة وانتهاء الأجل ونحوهما.

٢- ونوع للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام التي تحتاج إلى إعمال الفكر والروية.

٣- ونوع متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، ولعله المشار إليه في دعاء النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما:

«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».(١)

وبعد:

فإن علم المحكم والمتشابه في القرآن علم حافل يحتاج إلى الراسخين في العلم، ومن هنا كان على هؤلاء الذين يتصدون لتفسير القرآن أن يحذروا القول فيه بغير علم وبدون بصيرة، بل لابد من التبصر والتدبر والتريث حذرا من الخطأ في التفسير أو التأويل، وليس ذلك إبعادا عن تفهم القرآن وإنما تحريضا على الأخذ بأسباب فهمه بتحصيل العلوم الأساسية المؤهلة لذلك، ومن أهمها: علوم اللغة والبلاغة وأصول الفقه وعلوم الحديث وغيرها مما يدخل في مفهوم علوم القرآن.

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

التكرار في القرآن:

إن إعجاز القرآن ليس مقصوراً على الإيجاز وجوامع الكلم دون غيرهما، وإنما من وجوه الإعجاز في القرآن وجوه التكرار في كل من ألفاظه وآياته، بل وموضوعاته.

والتكرار في القرآن إحكام له على إحكامه وآياته، ويتدرج تحت التوكيد تارة، والتذكرة أخرى، والتفصيل ثالثة، وغيرها من أوجه البلاغة في القرآن.

وقد يكون التكرار لفظياً، وهو: ما تكررت فيه الألفاظ، ويكون معنويا، وهو: ما تكررت فيه المعاني بصيغ متغايرة.

التكرار اللفظي:

فوائده:

يأتي شرحاً لما أبهم واستغلق من المعاني؛ فيشرحها بعد إجمالها ويفسرها بعد غموضها.

وأغراض هذا التكرار كثيرة منها:

أولا ـ التقرير:

فالتكرار عامل قوي في تكوين الآراء وانتشارها، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، وهو وسيلة للإقناع عند الحاجة، لاسيما إذا ما تنوعت صيَغُهُ وأساليبه، وقد نبه الله ـ سبحانه ـ على السبب الذي من أجله تكررت في القرآن الأقاصيص والآيات في قوله ـ تعالى ـ في سورة طه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (١)

(١) الآية ١١٣ من سورة طه.

ثانيا: التوكيد:

وهو يأتي للإنذار وللردع كما في قول الله ـ سبحانه ـ في سورة التكاثر:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾(١)

فقد جاء لفظ كلا مكرراً للردع عن الانهماك في أمور الدنيا دون رعاية لحق الدين، وتنبيه إلى ترك هذا الانغماس في أمور ليس لها قرار، ولا دوام، ولفظ (سوف تعلمون) فيه الإنذار والتخويف أي سوف تعلمون عندما يتكشف لكم فداحة الخطأ، والضرر الذي وقعتم فيه من المعاصي التي تتلبسون بها، عندما تعانون أهوال يوم الحشر والحساب.

وميزة أخرى في هذه الآية ـ فضلا عن التكرار اللفظي ـ تلك هي الترتيب بتقديم أداة الإنذار (كلا)، ثم جيء ببيان ما سيكون في الآخرة من الأهوال، وهذا ترتيب منطقي ومعقول.

ثالثا: إزالة اللبس:

مثل ما جاء في قول الله ـ تعالى ـ في سورة الفتح:

﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ (٢)

بدلا من أن يقال: عليهم دائرته.

رابعا: التنبيه لتلقي الكلام بالقبول:

مثاله قول الله ـ سبحانه ـ في سورة غافر:

---

(١) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة التكاثر.

(٢) من الآية ٦ من سورة الفتح.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[١]

فتكرار النداء في قوله: (يا قوم) مرتين أريد به: التنبيه للاستماع والقبول لما يلقى إلى الناس.

خامسا: إعادة بعض الكلام خشية تطرق النسيان حين يطول ذكر المتحدث عنه، فيكون التكرار عندئذ تجديدا وجذبا للقارىء أو السامع للمتابعة والاستيعاب كما في آيات القصص وآيات التذكير بالبعث لاسيما في الفترة المكية.

سادسا: التعظيم للأمر المتحدث عنه وتهويل أمره: كما في قول الله سبحانه:

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾[٢]

وقوله ـ سبحانه:

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾[٣]

وقوله ـ تعالى ـ في سورة الواقعة:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [٤]

.. فإنه ظاهر أن التكرار لإبراز وتعظيم يوم القيامة والمقصود من الحاقة والقارعة، وقدر أصحاب اليمين وموقعهم من رضوان الله

---

(١) الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة غافر.
(٢) الآيات من ١ : ٣ من سورة الحاقة.
(٣) الآيات من ١ : ٣ من سورة القارعة.
(٤) الآية ٢٧ من سورة الواقعة.

سابعا: التكرار للفصل بين المكررين؛ لأن كلا منهما موجه إلى معين:

كقوله ـ تعالى ـ في سورة الحشر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(١)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة آل عمران:

﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

ثامنا: ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على الاهتمام به كقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾(٣)

تاسعا: الترديد أي التكرار اللفظي في الآيات ومن أمثاله قول الله ـ سبحانه ـ في سورة القمر:

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾(٤)

حيث تكررت هذه الآية في مواضع كثيرة من ذات السورة، حتى يتجدد الإقبال على الاستماع والإذكار عند سماع كل نبأ من أنباء الأولين.

---

(١) الآية ١٨ من سورة الحشر.

(٢) الآية ٤٢ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

(٤) الآيات ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ من سورة القمر.

ومثل ما جاء في سورة الرحمن: تكرار قوله ـ تعالى:

(فبأي آلاء ربكما تكذبان)

ذلك أن الله بين في هذه السورة الكثير من نعمه وفضله على عباده، فكأنه بهذه الآية:

(فبأي آلاء ربكما تكذبان)

يحفزهم على شكره وتقدير نعمه، وفي الوقت ذاته كان هذا توبيخا للمكذبين الجاحدين لنعم الله فهو تكرار تقديري مع اختلاف ما يقرره في كل مرة.

ومثله أيضا ما جاء في سورة المرسلات من قول الله ـ سبحانه:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (1)

حيث تخوف هذه الآية هؤلاء المكذبين وتحذرهم من استمرار التلبس بهذه الصفة الممقوتة، وتنذرهم بأن مأواهم دار في جهنم يضاعف فيها العذاب.

عاشرا: التعظيم وعلو الشأن كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة المجادلة:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(2)

حيث تكرار قوله ـ سبحانه: (حزب الله) تعظيماً لشأنه وإشهاراً وإعلاناً بأنه هو الحزب المفلح، وكفى به نسبة إلى الله تشريفاً.

حادي عشر: التكرار الذي يقصد به الإهانة كما في قوله سبحانه في سورة المجادلة:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(3)

(1) الآيات ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ من سورة المرسلات.

(2) من الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(3) من الآية ١٩ من سورة المجادلة.

حيث تكررت عبارة: (حزب الشيطان) مع هذه النسبة المقيتة، ثم وصف أعضاء هذا الحزب ووصمه بالخسران، وهذا منتهى الإهانة والتحقير والازدراء.

والتكرار قد استخدم فيما نزل من القرآن بمكة لتوكيد أمور العقيدة من: الوحدانية والبحث والحساب؛ فهو كالبراهين المنطقية التي تستثير الفطرة الإنسانية وتستحثها على التفكير والتدبر، والفطرة لا تختلف من إنسان إلى آخر في الأغلب الأعم.

ولقد استخدم القرآن التكرار في الآيات المدنية لتأكيد الحكم كما في آيات تحريم الربا؛ فقد قال الله ـ في سورة آل عمران:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(١)

إن هذه الآية يحتمل أنها نزلت لتحريم الربا مطلقا فهي ليست قطعية الدلالة في تحريم الربا المضاعف وإنما جاء ذكر الربا المضاعف فيها لبيان الواقع الذي كان عليه العرب حينذاك.

ويترجح هذا متى لوحظ أن قول الله ـ سبحانه ـ في سورة البقرة:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(٢)

نزلت قبل آية سورة آل عمران التي تتحدث عن الربا المضاعف ذلك أن مجموع آيات الربا، والتي بدأت بقول الله ـ تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٣)

---

(١) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران.
(٢) من الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

حتى آخر آية المداينة من ذات هذه السورة. مجموع هذه الآيات قد تكرر فيها التحريم للربا بأساليب متنوعة، وفي آيات متعددة لتوكيد هذا التحريم وتثبيته، وبيان أن قليله وكثيره سواء في التحريم، وكان وصف المخاطبين بهذه الآيات بالمؤمنين تنفيراً من التعامل بالربا؛ لأن الإيمان ينافيه وبتمثيل حال آكلي الربا بحالة من به مس من الشيطان في آية سورة البقرة، وهي قوله ـ تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾(١)

وقد يكون هذا التكرار بأداة التأكيد مثل ما جاء في قوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾(٢)

ذلك لأن تأكيد الأمر بأداء الأمانة والحكم بالعدل بأداة التأكيد (إن) بمثابة تكرار الجملة.

---

(١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٥٨ من سورة النساء.

علوم القرآن

يراد بها: كل علم يخدم القرآن، أو يستند إليه وينظم ذلك:

علم التفسير، وعلم القراءات، والرسم العثماني، وأسباب النزول، وإعجاز القرآن، والناسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن، وغريب القرآن، وعلوم الدين واللغة، وغير هذا مما سطره العلماء.

لكن ما يجب العلم به هو أن القرآن الكريم كتاب الله هداية وإعجاز، فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنية، أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه؛ فذلك من علوم القرآن، وهذا ظاهر في العلوم الدينية والعربية.

أما العلوم الكونية، وأما المعارف والصنائع، وماجد - أو يجد - في العالم من فنون ومعارف كعلوم: الهندسة والفلك، وعلم الاقتصاد، والاجتماع، وعلوم الطبيعة، والكيمياء والحيوان، والنبات وغيرها؛ فكل أولئك - وإن دعا القرآن إلى تعلمها والإجادة فيها - لا يجمل أن تعد من علوم القرآن؛ لأن هناك فرقا بين علوم اختصها القرآن بالتأصيل أو التفصيل، وعلوم حث عليها في عموماته، فما عرض له القرآن مبينا أحكامه وضوابطه وكان مرتبطا بنصوص القرآن فهو من علومه التي تخدم مقاصده.

من علوم القرآن (الرسم العثماني):

اتفقت كلمة فقهاء المذاهب المشهورة على ضرورة الالتزام في كتابة المصحف بالرسم العثماني، باعتبار أن هذا الرسم هو ما كتب به القرآن في حياة رسول ﷺ، وأقرهم عليه، ثم جاء أبوبكر - رضي الله عنه - فكتب القرآن بهذا الرسم وتبعه عثمان - رضي الله عنه - في كتابة المصاحف بموافقة الصحابة، دون نكير من أحد فيكون إجماعا، ومن ثم يلزم المصير إلى طباعة المصحف بهذا الرسم لا غير.

ولقد أجاز بعض العلماء كتابة المصحف بالاصطلاحات الإملائية المعاصرة للتعليم، ولا بأس من المصير إلى هذا الرأي في طبع الأجزاء المتفرقة من القرآن لتكون في أيدي الصغار لتعلمهم القرآن، حتى إذا ما تمرسوا على التلاوة والحفظ، عادوا إلى الرسم العثماني الذي أجمع المسلمون منذ الخليفة الثالث على استمرار كتابة المصحف به دون سواه.

تفسير القرآن:

التفسير هو: المعاني الظاهرة من القرآن الكريم التي تكون واضحة الدلالة على المعنى المراد من النص القرآني.

أما التأويل: فهو المعاني الخفية التي تستنبط من الآيات الكريمة، والتي تحتاج إلى تأمل وتفكر واستنباط والتي تحتمل عدة معان، فيرجح المفسر منها ما كان دليله أقوى، ولا يعتبر هذا الترجيح قطعيا بل هو ترجيح للأقوى والأظهر.

لأن الله - سبحانه يقول:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١)

ولقد دعا القرآن إلى تدبر آياته وفهمها والعمل بها.

يقول الله - سبحانه:

﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾(٢)

ويقول سبحانه:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٣)

---

(١) من الآية ٧ من سورة آل عمران.
(٢) من الآية ٢٩ من سورة ص.
(٣) الآية ٢٤ من سورة محمد.

ويقول:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1]

فالمسلمون ـ، بل الناس جميعا ـ في حاجة إلى تدبر القرآن وفهمه وتفسيره وهذا ما حدا بالمسلمين الأولين إلى الإجادة في هذا والإفادة، فتركوا عدة تفاسير للقرآن الكريم.

ـــ أقسام التفسير:

١- التفسير بالرواية ويسمى أيضا التفسير بالمأثور.

٢- التفسير بالدراية أو التفسير بالرأي.

٣- التفسير الإشاري.

أما التفسير بالرواية أو بالمأثور، فهو تفسير القرآن بالقرآن، أو بما جاء في السُّنة، أو كلام الصحابة بيانًا للمراد من النص القرآني.

وأشهر من اتبع هذه الطريقة: ابن جرير الطبري، والسمرقندي وغيرهما. لكنه قد دخل في هذا النوع من التفسير الكثير من الإسرائيليات والقصص والأخبار التي لم تمحص رواياتها.

هذا: وقد نسبت تفاسير لعدد من الصحابة ومن التابعين في مختلف الأقطار والأمصار، وهذه التفاسير المنقولة عن هؤلاء وأولئك في حاجة إلى التنقية، وإن كانت لا تخلو من الروايات الصحيحة الثابتة التي يتعين المصير إليها في التفسير.

ـــ التفسير بالرأي:

والمراد به: الاجتهاد المستند إلى ما يجب الرجوع إليه من قواعد وأصول، كأدوات هادية إلى الحق وحسن الفهم للقرآن.

---

(١) الآيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ من سورة القمر.

تلك الأصول هي:

أ- النقل عن رسول الله ﷺ مع الابتعاد عن الموضوعات والضعيف من الأخبار.

ب- الأخذ بقول الصحابي باعتباره في حكم المرفوع، وإن لم يكن مرفوعا في واقع الأمر، من هذا ما رواه أبوداود والترمذي وغيرهما عن قيس ـ رضي الله عنه ـ قال:

خطبنا أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إنكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بقضائه».

وتأويلات ونقول أخرى في شأن هذه الآية:

هذا؛ وبعض العلماء خص ذلك بأسباب النزول باعتبارها ليست مجالا للرأي.

جـ- الأخذ بمطلق اللغة، مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه كلام العرب.

د- الأخذ بما يقتضيه الكلام وتدل عليه قواعد الشرع.

ومما يجب ملاحظته، أنه لا يجوز لمن لم تتوافر لديه قوانين اللغة والشريعة أن

---

(١) الآية ١٠٥ من سورة المائدة.

يفسر القران برأيه ذلك أن في القرآن علوما مختلفة، منها ما استأثر الله بعلمه؛ فليس لأحد البحث فيه، كمعرفة حقيقة ذاته وصفاته، ومنها ما أطلع الله عليه نبيه واختصه به، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا للرسول ﷺ.

وقد قيل: إن من هذا أوائل السور، ومنها العلوم التي أمر بإبلاغها للناس، وهذا منه ما لا يكون علمه إلا بالنقل عن الرسول الله. كالكلام في الناسخ والمنسوخ، والقراءات، وقصص الأمم السالفة، وأسباب النزول، وأخبار الحشر والنشر والميعاد.

ومنها ما يعرف بالنظر والاستنباط، وذلك ما يتعلق بآيات الأحكام والمواعظ أوالأمثال والحكم ونحوها لمن توافرت له أهلية الاجتهاد.

ومن هذا ما ينبغي التوقف عن النظر فيه، وهو المتشابه. والمفسر يحتاج إلى تحصيل علوم اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه، وعلم االتوحيد ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم، ثم موهبة الفهم. وهي منحة من الله ـ سبحانه ـ وصدق الله

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾(١)

تلك العلوم مطلوبة لتحقيق أقصى قدر من مراتب علم التفسير.

أما المعاني الظاهرة ففهمها يشترك فيه كل الناس.

هذا وقد منع بعض العلماء تفسير القرآن بالرأي خشية القول على الله ـ جل وعلا ـ بغير علم.

وهذا غير صحيح؛ لأن القرآن دعا إلى تدبر آياته وفهمها واستنباط الأحكام منها. وما دام المسلم مؤهلا لتحصيل تلك العلوم، عارفا بسُنَّة الرسول ﷺ، وأقوال السلف الصالح، ثقة لا يقول على الله ـ سبحانه ـ بغير علم، كان له التفسير.

---

(١) من الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

هذا وأكثر كتب التفسير المتداولة، هي من باب التفسير بالرأي والاجتهاد بضوابطه.

التفسير الإشاري:

وهو الذي يهدف إلى تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو يقول بها بعض الصوفية وغيرهم من الفرق التي ظهرت في سالف عصور المسلمين.

ولا شك أن على الناس جميعا أن يحذروا هذا النوع من التفاسير الإشارية الملتوية؛ لأنها خارجة عن حدود الضبط والعلم، وكثيراً ما يلتبس فيها الحق بالباطل والخيال بالحقيقة.

وعلينا جميعا أن نلتزم الكتاب والسُّنة مستهدين بأقوال السلف الصالح، وأن نعرض عمن يقولون في كتاب الله بغير علم، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون من كيد للإسلام والمسلمين؛ فينفثون سمومهم محرِّفين الكلم عن مواضعه بإشارات وادعاءات لا سند لها إلا أفهامهم.

ولقد ظهر في عصرنا هذا أولئك الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئا باسم العلم تارة وباسم الدين أخرى، غير ملتزمين بقواعد علمية ولا بنصوص مأثورة، يطعنون في كل شيء ويلمزون المؤمنين، والله من ورائهم محيط.

نسأله العصمة في الدين، والعون على المارقين..

ومن هنا كان على المسلمين أن يتحروا من أمرهم رشدا، فلا يأخذوا علوم وأحكام الشرع إلا من مصادرها، ومن المتخصصين في دراستها، الأمناء على حملها فما كل قائل خطيب، وما كل ناظم شاعر، وليتق الله أولئك الذين يفجرون الخلافات التي عفا عليها الزمن وتجاوزتها الأمة الإسلامية، وليتق الله أولئك الذين عادوا إلى التشكيك في المصادر الإسلامية الصحيحة عملا بمبدأ «خالف تعرف» إذ هل يقبل في عصر الفضاء أن نشكك في الإسراء والمعراج؟.

إن هذا غير مقبول وربما كان في عصر الرسالة وبمنطق وسائل الانتقال - الإبل - في ذلك الوقت، يستبعد المجادل أن يقطع الرسول ﷺ تلك المسافات الطوال بين مكة والقدس، ثم عروجا إلى السموات ويعود في نفس الليلة.

ألا، فليكف أولئك الذين يروجون الشكوك، ويفتنون الناس عن دينهم. فإن الكلمة في الدين أمانة إن الإسراء ثابت في القرآن.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾(١)

نصيحة أوجهها إلى الأمة الإسلامية في كل مكان على أرض الله - سبحانه -، أن نحذر الفرقة والاختلاف، فقد يئس الأعداء من المواجهة، فلجأوا إلى غزو المسلمين من داخلهم، فبثوا خلافات وأحيوا أمواتا من الأفكار التي طواها الزمن في بطون الكتب، إنهم يفجرون خلافات حول السنة الشريفة وكتبها ويذيعون تفسيرات خاطئة على ألسنة أناس قد يكون لهم في المجتمع مكان دون أن يكون لهم في علوم الإسلام مكانة.

ونصيحة أوجهها لوسائل الإعلام: إن من مهامها الرئيسية نشر الثقافة الصحيحة يقرؤها الجميع في الصحف، أو يسمعونها في الإذاعة المسموعة والمرئية.

ومن واجبها أن تقدم للناس المعلومات الصحيحة الموثوقة، وأن تقف بشجاعة ضد أولئك الذين يحملون معاول الهدم والتفرقة أولئك الذين يقولون في الإسلام بغير علم فهم خطر على مجتمعنا وعلى عقيدة أولادنا.

إن الكلمة أمانة، ونقلها إلى الناس أمانة، وإن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.

---

(١) من الآية ١ من سورة الإسراء.

إن حرية الكلمة لا تعني هدم القيم الإسلامية، أو التشكيك في أصولها أو تفسيرها على وجه يلتبس فيه الحق بالباطل.

فالحرية بوجه عام مصونة ما لم تضر بالغير، وإلا صارت عدوانا يجب رده.

ذلك قول الله ـ سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

نسأل الله سبحانه أن يوفق القائمين على أمور وسائل الإعلام إلى أن يجتثوا الكلمة الخبيثة من صحائفهم وقنواتهم حتى يقدموا لنا صحيح الفهم وصادق القول وقدوة العمل، وأن يجعلنا جميعا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فنقدم للناس رشداً وقولاً حسناً ينفعهم في معاشهم، وترتقي عليه أخلاقهم، وينضبط به سلوكهم.

من علوم القرآن: أسباب النزول:

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه.

والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤال وُجِهَ إليه فنزلت الآية، أو الآيات من الله ـ تعالى ـ ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب السؤال كحادثة الخلاف الذي نشب بين الأوس والخزرج بدسيسة من اليهود حتى تنادوا بالسلاح

فنزل قوله ـ تعالى:

---

(١) الآيات ٢٤ : ٢٦ من سورة إبراهيم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾[1]

وآيات أخرى بعدها في سورة آل عمران تنفر من الشقاق والانقسام، وترغب في الوحدة والوفاق والمحبة. أو كذلك الذي أم الناس في الصلاة وهو سكران، فقرأ بعد الفاتحة سورة (الكافرون) هكذا:

قل يا أيها الكافرون.. أعبد ما تعبدون وحذف أداة النفي من قوله (لا أعبد).

فنزلت الآية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[2]

أو كان سبب النزول أمنيات بدرت من بعض الصحابة، كتلك التي أطلقوا عليها موافقات عمر ـ رضي الله عنه.

ومن أمثلتها:

ـــ ما أخرجه البخاري وغيره عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى» فنزلت:

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[3]

وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب في قوله ـ تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ

(١) الآية ١٠٠ من سورة آل عمران.
(٢) من الآية ٤٣ من سورة النساء.
(٣) من الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (١)

واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة، فقلت لهن:

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ (٢)

فنزلت الآية:

وقد كان السؤال يوجه إلى الرسول الله في أمر ماض، فيأتي القرآن بالجواب عنه. كقول الله ـ سبحانه:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ (٣)

أو يتصل بأمر حاضر، كقول الله ـ تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤)

أو يتصل بأمر مستقبل نحو قول الله ـ تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ (٥)

---

(٣) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.
(٢) من الآية ٥ من سورة التحريم.
(٣) من الآية ٨٣ من سورة الكهف.
(٤) الآية ٨٥ من سورة الإسراء.
(٥) من الآية ١٧٨ من سورة الأعراف والآية ٤٢ من سورة النازعات.

هذا: وهناك آية أو آيات نزلت ابتداء دون تقدم سبب ظاهر تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلة. كبعض قصص الأنبياء السابقين وأممهم، وكالحديث عن الساعة وما يتصل بها.

ـــ فوائد معرفة سبب النزول:

لعل بعض الناس تغيب عنهم فوائد معرفة أسباب نزول الآية أو الآيات من القرآن، أو يتغافلون عن تلك الأسباب عند النظر في التفسير باعتبار أنها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ.

لكن تلك الأسباب ليست مجرد تاريخ، وإنما لها فوائد عديدة هامة:

أ- معرفة حكم الله تعالى على التحديد فيما شرعه بالتنزيل، يزداد بها المؤمن إيمانا، أما غير المسلم فقد تسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان بالإسلام حينما يقف على أن التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الناس، لا على الاستبداد لاسيما في تلك الأحكام التي تدرج فيها التشريع الإسلامي كمسألة تحريم الخمر التي مرت بأربع مراحل في القرآن.

(ب) الاستعانة بسبب النزول على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يؤدي إلى العلم بالمسبب.

فمثلا: قول الله سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]

تدل هذه الآية بظاهرها على أن للمسلم أن يصلي إلى أي جهة شاء، ولا يتعين عليه أن يتوجه في الصلاة إلى البيت الحرام، لا في سفر ولا في حضر، لكن إذا علم أن هذه الآية نزلت في نافلة السفر خاصة، أو فيمن صلى باجتهاده

(١) الآية ١١٥ من سورة البقرة.

نزول القرآن على سبعة أحرف

وهذا علم آخر من علوم القرآن.

القراءات.

ذلك العلم الذي جاء في شأنه الحديث الشريف الصحيح:

«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه».(١)

وقد روي هذا الحديث بروايات مختلفة حتى قال بعض الأئمة إنه بلغ حد التواتر.

ـــ معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

قال علماء اللغة: إن الحرف من كل شيء طرفه وحده، وواحد حروف الهجاء، وبمعنى وجه.

ومن هذا القبيل قول الله سبحانه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ ﴾(٢)

أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء، لا على الضراء، أو على شك أو غير مطمئن في الدين ومتمكن منه.

ولفظ حرف عند النحاة: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

أو أن (سبعة أحرف): سبع لغات من لغات العرب، وهذا يدل على أن لفظ (الحرف) من قبيل المشترك اللفظي، والمشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام.

وقد اختار بعض العلماء: أن أنسب المعاني لتفسير هذا الحديث الشريف من إطلاق لفظ الحرف أنه الوجه، وهذا يشير إلى أن المقصود التوسعة والتيسير. أي

---

(١) رواه البخاري.
(٢) من الآية ١١ من سورة الحج.

أنزل القرآن موسعا فيه على القارىء أن يقرأه على سبعة أوجه.

وهذه الأوجه هي:

١- اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.

٢- اختلاف في تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

٣- اختلاف وجوه الإعراب.

٤- الاختلاف بالنقص والزيادة.

٥- الاختلاف بالتقديم والتأخير.

٦- الاختلاف بالإبدال.

٧- اختلاف اللهجات كالفتح، والإمالة، والترقيق، والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك.

وهناك أقوال أخرى في تفسير هذا الحديث الشريف لا يتسع المقام لاستعراضها.

معنى القراءات

القراءات جمع قراءة، ومعناها اصطلاحا: ما ذهب إليه إمام من أئمة القراءات مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه..

وقد اشتهر القول بالقراءات السبع، وبالعشر، وبالأربع عشرة، أي أنها قراءات منقولة عن أئمة القراءات.

ذلك؛ لأن الاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ، ولهذا أرسل عثمان ـ رضي الله عنه ـ مع كل مصحف من يوافق قراءته، وقرأ كل أهل جهة بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ.

ــ فوائد اختلاف القراءات:

١- التيسير على الأمة الإسلامية كلها، بخاصة الأمة العربية التي كانت وقت نزول القرآن قبائل كثيرة، وكان بينها اختلاف في اللهجات وطريقة الأداء، كما هو مشاهد في كل قطر عربي، حيث تختلف اللهجة من منطقة إلى أخرى، وكما هو ملموس في اختلاف اللهجة من محافظة إلى محافظة، بل ربما في المحافظة الواحدة.

٢- جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد، هو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم.

٣- بعض القراءات بزيادة بعض الألفاظ لتفيد حكما من الأحكام.

فقد قرأ سعد بن أبي وقاص آية الكلالة وفيها (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة لفظ من أم، فخرج به الإخوة الأشقاء، ومن الأب. وأجمع المسلمون على ذلك.

وهناك أمثلة أخرى سواء بزيادة لفظ، أو بالقراءة بالتخفيف أو بالتشديد.

فتنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة، ومن هذا نعرف أن معنى الحروف السبعة التي نزل بها القرآن ليس قاصرا على تلك القراءات السبع المشهورة على ألسنة القراء فقط.

المكي والمدني:

للعلماء ثلاثة اصطلاحات في التمييز بين المكي والمدني من القرآن.

١- أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة.

ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بـ(منى) و(عرفات) و(الحديبية). ويدخل في المدينة ضواحيها كالمنزل في (بدر) و(أُحد). وهذا الاصطلاح لوحظ فيه مكان النزول.

٢- أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، ومثله قول من قال:

إن المكي ما بدأه القرآن بلفظ «يا أيها الناس» والمدني ما بدأ بلفظ «يا أيها الذين آمنوا».

٣- أن المكي ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، وإن المدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه زمن النزول، وقد اعتمد جمهور العلماء هذا الاصطلاح الأخير واشتهر بينهم.

ـ فائدة العلم بالمكي والمدني:

١- معرفة الناسخ من المنسوخ، فإذا وردت آيتان أو آيات في موضوع واحد، وكان الحكم مخالفا في إحداها للأخرى أو الأخريات، ثم عرف المكي والمدني منها، كان المدني منها ناسخا للمكي، نظرًا لتأخر المدني في النزول عن المكي.

٢- الثقة التامة بوصول القرآن على هذا الوجه سالما من التحريف والتغيير.

هذا: ولا يعرف المكي ولا المدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين.

ترجمة القرآن الكريم:

هذا اللفظ ـ ترجمة القرآن ـ مشترك لفظي بين معان أربعة:

(أ) ما اتفق على جوازه، وهو ترجمته بمعنى تبليغ ألفاظه، بتلاوتها بنصها.

(ب) ترجمة بمعنى تفسيره بلغة عربية.

(جـ) ما تقضي أقوال الفقهاء بمنعه، وهو ترجمته بمعنى نقله إلى لغة غير العربية، أي الترجمة الحرفية حيث لا تفي بجميع معانيه ومقاصده.

(د) ما اختلف العلماء فيه، ولكن الأدلة على جوازه متضافرة، وهو ترجمته بمعنى تفسيره بلغة غير العربية، مع استيفاء شروط التفسير والترجمة فيه.

هذا:

ولعل أمثل الطرق للترجمة أن يُوضع تفسير للقرآن الكريم يراعى فيه:

١- خلوه ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية.

٢- ألا يتعرض فيه للنظريات العلمية فلا يذكر على وجه قاطع التفسير العلمي للظواهر الجوية، ولا نظريات علم الفلك والهيئة ولا غير هذا من نظريات علمية. وإنما تفسر الآيات التي أشارت إلى مثل هذه الأمور بما يفيده اللفظ العربي للقرآن مأخوذاً منه دلالات الهداية والاعتبار بقدرة الله خالق السموات والأرض.

فإذا دعت الحاجة إلى التوسع في ذكر بعض المسائل العلمية التي استقرت كحقائق علمية، فلتذكر في هامش أو حاشية، لا في صلب التفسير.

٣- مراعاة ما تدل عليه ألفاظ الآية من معنى، أو حكم تشريعي دون الارتباط برأي مذهب معين من المذاهب الفقهية، ولا مذهب معين كذلك من مذاهب علماء الكلام وغيرها، كما لا يتعسف في تأويل آيات المعجزات، وأمور الآخرة ونحو ذلك.

٤- أن يفسر القرآن بقراءة حفص باعتبارها القراءة التي اشتهرت، ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة إليها.

٥- لا محل للتكلف في ربط الآيات والسور بعضها ببعض، وفي بيان وجه المناسبة على ما يبدو في بعض التفاسير.

هذه بعض الشروط التي يجب مراعاتها لوضع تفسير سهل المأخذ والمقصد، يمكن ترجمته إلى أية لغة أخرى.

ولقد تجاوزنا ما أثير في مصر منذ سنوات حول جواز ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية، أو عدم جواز ذلك، وما كان من سجال بين العلماء في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين؛ إذ على المسلمين أن يواجهوا التراجم الكثيرة للقرآن بكافة اللغات تصحيحا لما جاء فيها من تحريف للكلم عن مواضعه بسوء قصد أو بغير فهم.

ويجب أن تتضافر الجهود على ذلك فنيا وعلميا وماليا حتى يكون هناك تفسير عربي خال من الشوائب العلمية والفنية التي اندست في أكثر التفاسير المتداولة. حيث لا تخلو من إفراط أو تفريط، ثم يترجم هذا التفسير إلى لغة أو لغات غير العربية وذلك أمر يقتضي للقيام به جمعا من العلماء المتخصصين المتفرغين، وتمويلا يتساند فيه كل من أفاء الله بنعمه عليه..

هذا:

ويجب أن يعلم الناس جميعا أن الترجمة لتفسير القرآن ليست قرآنا، وليس لها خصائص القرآن، وأنها لا تحمل الإعجاز الموجود في لفظه العربي المنزل به، وإنما تحمل المعاني التي فهمها المفسر، فليست التراجم هي القرآن، كما أن التفسير باللغة العربية ليس هو القرآن، ولا يسمى قرآنا ..

ـــ ما حكم قراءة القرآن بغير اللغة العربية؟:

لا تجوز قراءة القرآن بغير ألفاظ العربية التي نزل بها، سواء لمن يعرف اللغة العربية ولمن لا يعرفها في الصلاة، ولا في غيرها لقوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾(1)

وقوله سبحانه:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾(2)

ومن ثم أجمع العلماء على تحريم قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة..

لكن لو فرض وقرأ المسلم في الصلاة بغير اللغة العربية لم تصح الصلاة..

أما العاجز عن تلاوة القرآن باللغة العربية وبنصه المنزل به فهو كالأمي لا قراءة عليه، لكن إذا خالف وأدى في الصلاة ترجمة لتفسير آية من الآيات، فإن كان ما أداه تفسيراً لقصة من القصص أو أمراً أو نهيا فسدت صلاته؛ لأنه متكلم بكلام ليس قرآنا وليس ذكرا، وإن كان ما يؤديه ذِكْرًا أو تنزيها لا تفسد صلاته؛ لأن الذكر بأي لغة في الصلاة لا يفسدها.

ومعنى هذا أن غير العرب من المسلمين لهم ـ إلى أن يتعلموا اللغة العربية ويحفظوا من القرآن ما تصح به الصلاة ـ أن يذكروا الله بلغتهم، لبعض آيات القرآن الكريم التي وردت في ذكر الله ـ تعالى ـ أو تنزيهه ولا يعد تاليا لقرآن، وإنما ذاكراً الله بلغته كالأمي الذي عجز عن حفظ شيء من القرآن عليه ذكر الله في الصلاة بدلا من تلاوة الفاتحة..

---

(1) من الآية ٢ من سورة النساء.

(2) الآية ٤٤ من سورة فصلت.

من علوم القرآن: النسخ:

ومعناه في اللغة: إزالة الشيء، مثل قولهم: نسخت الشمس الظل، أو نقل الشيء وتحويله مع بقاء ذاته. ولفظ النسخ بهذا من قبيل المشترك الذي وضع لأكثر من معنى لغة..

والنسخ في الاصطلاح له تعاريف كثيرة مختلفة، أقربها وأنسبها هو: (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي)..

وبهذا يكون النسخ وارداً - فيما نسخ - على الحكم فقط، وبهذا المعنى أيا يكون شاملاً للنسخ في القرآن، وفي السنة أيضا. مثال نسخ القرآن بالقرآن قول الله سبحانه:

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ ﴾[1]

فإنها نسخت بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠ ﴾[2]

وهذه وإن كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول على الآية المنسوخة كآيتي: عدة الوفاة رقم ٢٣٤، ٢٤٠ من سورة البقرة.

---

(١) من الآية ٥٢ من سورة الأحزاب.
(٢) الآية ٥٠ من سورة الأحزاب.

مثال نسخ السنة بالسنة، نسخ الوضوء مما مست النار، بأكله ﷺ من شاة مستها النار ولم يتوضأ.

ولابد في تحقيق النسخ من أمور أربعة:

١- أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.

٢- أن يكون دليل النسخ دليلاً شرعياً.

٣- أن يكون الدليل الناسخ متأخرا عن دليل الحكم المنسوخ غير متصل به اتصال القيد بالقيد.

٤- أن يقع تعارض حقيقي بين هذين الدليلين.

وهناك شروط أخرى للنسخ اختلف فيها العلماء، وتعرف من مواضعها في علم (أصول الفقه)، ولا يشتبه النسخ بـ(التخصيص)، لأن هذا الأخير قصر للعام على بعض أفراده، بعكس النسخ الذي هو (إزالة الحكم الشرعي بحكم شرعي).

ـــ حكمة وقوع النسخ:

إن الله نسخ بالإسلام كل دين سبقه.

ذلك أنه جاء بعد أن بلغت الإنسانية شأوًا بعيدًا في حياتها وتمرست بما سبق من أديان أنزلها الله ـ تعالى ـ مناسبة للأحوال التي مرت بها الإنسانية.

ذلك لأن النوع الإنساني قد تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار ما يناسبه من معارف وتشريع وأسلوب خطاب وعبادات.

ذلك نسخ الأديان السابقة بالإسلام.

أما الحكمة في نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض؛ فتكمن في مراعاة نشأة الأمة الإسلامية وانتقالها من حال البداوة إلى التنظيم والتهذيب؛ لأن الطفرة من نوع المستحيل الذي يرغب عنه الإنسان ولا يطيقه، كتدرج القرآن في تحريم الخمر باعتبارها كانت سلوكا وعادة غالبة مستحكمة في نفوس العرب وأهوائهم يستدلون

بها على القوة والفتوة والشهامة والكرم، فكان لابد لاقتلاعها من نفوسهم من التدرج في التحريم حتى يقلعوا عنها بعد أن يقتنعوا بآثامها ومضارها.

وقد اختلف في وقوع النسخ، وثارت أقوال كثيرة في شأنه بين مانع، ومجيز مطلقًا، أو بقيود، ولكن الصحيح أن الإسلام نسخ كل الأديان السابقة بعموم رسالته.

والصحيح كذلك أن بعض الأحكام التشريعية في الإسلام نسخت لحكمة تشريعية كالآيات التي توالى نزولها في حكم شرب الخمر حتى انتهت بالتحريم البات.

ولا يجوز القول بالنسخ لمجرد دفع شبهة تعارض دليلين؛ بل لابد من دليل شرعي صحيح يدل على النسخ.

ويعرف النسخ بواحد من طرق ثلاثة:

١- أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما نحو قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١)

فالآية الأخيرة جاءت بالتخفيف مما حوته الآية السابقة عليها، وصريحة في نسخ حكمها.

---

(١) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ من سورة الأنفال.

ونحو قول الرسول الله ﷺ:

«كنت نهيتكم عن زيارة القبور. فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»[1]

٢- أن ينعقد إجماع من الأمة في أي عصر من عصورها على تعيين المتقدم نزولا من النصين المتأخر منهما.

٣- أن يثبت من طريق صحيحة عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ما يفيد تعيين أحد النصين المتعارضين للسبق على الآخر، أو التأخير عنه في النزول. كأن يقول الصحابي: نزلت هذه الآية بعد تلك الآية، أو نزلت هذه قبل تلك، أو نزلت عام كذا. بينما الآية المعارضة معروف تأخر تاريخ نزولها، أو محدد بما يفيد التأخر عن المعارضة لها.

الآيات التي ورد عليها النسخ:

أكثر بعض الناس من الحديث على النسخ وما دخل عليه النسخ في القرآن وقد تعرض بعض العلماء لحصر المنسوخ من آيات القرآن وحصرها في اثنتين وعشرين آية.

ـــ من علوم القرآن:

المبهمات:

المراد بالمبهم في القرآن: ما أشير إليه في آية من الآيات، أو في قصة من القصص دون تحديد. وقد كان في السلف من التابعين والعلماء الصالحين من يُعنى به.

روي عن عكرمة قال: «طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة» وهو بهذا يشير إلى قوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود – رضي الله عنه.

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١)

ومع هذا فقد توقف الكثير من العلماء عن البحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله تعالى:

﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (٢)

ـــ وللإبهام في القرآن أسباب:

الأول: الإبهام في موضع استغناء ببيانه في موضع آخر في سياق الآية كقوله ـ تعالى في سورة الفاتحة:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٣)

حيث بينه بقوله في سورة الإنفطار:

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾(٤)

وكقوله ـ تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾(٥)

---

(١) من الآية ١٠٠ من سورة النساء.
(٢) من الآية ٦٠من سورة الأنفال.
(٣) الآية ٤ من سورة الفاتحة.
(٤) الآيات ١٧ : ١٩ من سورة الانفطار.
(٥) من الآية ٧ من سورة الفاتحة.

حيث بينه بقوله ـ سبحانه ـ في سورة النساء:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (1)

وكقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾(2)

إذ المراد (آدم) فقد بينه السياق حيث جاء بعدها قول الله ـ تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾(3)

وكقوله ـ تعالى ـ في سورة التوبة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(4)

والمراد بهم ـ والله أعلم ـ المهاجرون لقوله ـ تعالى ـ في سورة الحشر:

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾(5)

وقد كانت هذه الآية مما احتج به أبوبكر الصديق رضي الله عنه على الأنصار في سقيفة (بني ساعدة) حيث كان الحوار بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في اختيار الخليفة.

---

(1) الآية ٦٩ من سورة النساء.
(2) من الآية ٣٠ من سورة البقرة.
(3) من الآية ٣١ من سورة البقرة.
(4) الآية ١١٩ من سورة التوبة.
(5) من الآية ٨ من سورة الحشر.

قال أبوبكر: نحن الصادقون وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أي تبعا لنا..

وقوله ـ تعالى ـ في سورة المؤمنون:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾(١)

يعني مريم وعيسى، وقال: آية، ولم يقل آيتين، مع أنهما آيتان في واقع الأمر. ذلك لأنها قضية واحدة هي: ولادة مريم ابنها عيسى من غير أن يمسها بشر.

والسبب الثاني للإبهام:

أن يكون المبهم معينا بالشهرة كما جاء في قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة في شأن آدم وزوجته:

﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾(٢)

ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها.. وكقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾(٣)

حيث إن المرسل إليه هو النمرود معروف بالاشتهار.

وكقوله تعالى في سورة يوسف:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾(٤)

والمراد به العزيز.

---

(١) من الآية ٥٠ من سورة المؤمنون.
(٢) من الآية ٣٥ من سورة البقرة.
(٣) من الآية ٢٥٨ من سورة البقرة.
(٤) من الآية ٢١ من سورة يوسف.

وكقوله في سورة المائدة:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾(١)

.. والمراد قابيل وهابيل.

وكقوله ـ تعالى ـ في سورة الأنعام:

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٢)

إذ إن قائل هذه العبارة النضر بن الحارث، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس وتعلم التواريخ والأخبار، ثم عاد إلى قومه يقول لهم:

أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم به محمد، وإنما يحدثكم أساطير الأولين، فحينما جاءت هذه الجملة في القرآن كان النضر بن حارث هو المعني بها، وقد نزل قول الله سبحانه في سورة الأنعام:

﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (٣)

وقد قتله رسول الله ﷺ يوم بدر:

وكقوله تعالى في سورة التوبة:

﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾(٤)

فإنه ترجح أنه (مسجد قباء) بقوله ـ تعالى ـ في ذات الآية (من أول يوم)

لأنه أسس قبل المسجد النبوي بالمدينة، ومع هذا ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذه الآية (مسجد المدينة) وجمع بين القولين بأن كليهما مراد بهذه الآية.

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة المائدة.
(٢) من الآية ٢٥ من سورة الأنعام.
(٣) من الآية ٩٣ من سورة الأنعام.
(٤) من الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

ـــ السبب الثالث للإبهام في القرآن:

قصد الستر على مرتكب الخطأ ليكون أبلغ وأعم وأدعى للقبول..

كما كان رسول الله ﷺ- يفعل إذا بلغه عن قوم شيء لا يرضى عنه الله ورسوله حيث كان ينبه على الخطأ دون تعيين المخطئين.

يدل على هذا ما ورد عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيما رواه البخاري في كتاب الأدب ـ باب من لم يواجه الناس بالعتاب.

قالت: صنع النبي ـ ﷺ ـ شيئًا فرخص فيه فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فخطب فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

حيث لم يسم هؤلاء القوم.

وهذا غالب ما في القرآن كقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

حيث لم تصرح الآية بأسماء من عاهدوا رسول الله ﷺ ـ ثم نقض بعضهم العهد.

وقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾(٢)

فقد أبهمت الآية أسماء السائلين عناية بالأمر في ذاته.

وقوله في سورة البقرة:

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ١٠٨ من سورة البقرة.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾(١)

فقد روي أنها في الأخنس بن شريق، وكان حلو القول والمنظر، أظهر الإسلام أمام النبي ﷺ قائلا: الله يعلم إني صادق، ثم هرب بعد ذلك، ومر بزرع لقوم مسلمين وماشية فأحرق الزرع، وعقر الماشية.

ومن هذا القبيل أيضا قول الله ـ سبحانه ـ في سورة النساء:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾(٢)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة آل عمران.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾(٣)

إذ إن إبهام القائلين في كل هذه الآيات إهمال لشأن أشخاصهم تركيزاً على العناية برد أفكارهم، وبيان خطأ أقوالهم.

ـــ السبب الرابع للإبهام في القرآن:

أن لا يكون في تعيينه كثير فائدة. كقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾(٤)

---

(١) من الآية ٢٠٤ من سورة البقرة.
(٢) من الآية ٥١ من سورة النساء.
(٣) الآية ٧٢ من سورة آل عمران.
(٤) من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة.

إذ إن إبهام اسم القرية هنا باعتبار أن تعيينها ليس فيه كثير فائدة وحتى لا يشتغل بها عن ماهية العبرة المستفادة من الواقعة.

والقرية المعنية هنا هي بيت المقدس، ومثل ذلك قوله سبحانه في سورة الأعراف:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ (١)

والمراد بها (أيلة) أو (طبرية).

وقوله في سورة يونس:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ (٢)

والمراد بها (نينوى).

وقوله في سورة الكهف:

﴿ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ (٣)

قيل إنها (برقة).

ـــ السبب الخامس:

التنبيه على تعميم الحكم. كقوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٤)

قال عكرمة: ظللت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته هو ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضا، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات في (التنعيم) على مشارف (مكة).

---

(١) من الآية ١٦٣ من سورة الأعراف.
(٢) من الآية ٩٨ من سورة يونس.
(٣) من الآية ٧٧ من سورة الكهف.
(٤) من الآية ١٠٠ من سورة النساء.

وكقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾(١)

قيل: نزلت في (علي بن أبي طالب). كان معه أربعة دوانق، فتصدق بواحد نهارًا، وبآخر ليلا، وبثالث سرًا، وبرابع علانية.

وقوله ـ تعالى ـ في سورة المائدة:

﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾(٢)

قيل: نزلت في (عدي بن حاتم)، كان له كلاب خمسة.

ـــ السبب السادس:

الإبهام مع التعظيم بالوصف دون الاسم. كقوله ـ تعالى ـ في سورة النور:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)

حيث نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين حلف أن لا ينفع مِسْطَح بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما قال في حديث الإفك.

وكذلك قول الله ـ تعالى ـ في سورة الزمر:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ (٤)

---

(١) من الآية ٢٧٤ من سورة البقرة.
(٢) من الآية ٤ من سورة المائدة.
(٣) من الآية ٢٢ من سورة النور.
(٤) من الآية ٣٣ من سورة الزمر.

يعني: رسول الله محمداً ﷺ. وقوله - تعالى - في ذات الآية (وصدَّق به) يعني أبا بكر - رضي الله عنه.

ـــ السبب السابع:

الإبهام للتحقير مع الوصف الناقص. كقوله - تعالى - في سورة النساء:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ [1]

وفي سورة الكوثر:

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[2]

إذ المراد فيهما: العاص بن وائل.

من مقاصد القرآن الكريم كما أفصحت عنها آياته: بيان أن الإسلام آخر الأديان، وأن محمداً خاتم الرسل.

١- فقد جاء صريحا في القرآن أن رسول الله محمداً - ﷺ - آخر المرسلين، وأنه أرسل للناس أجمعين.

قال - تعالى - في سورة الأحزاب:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3]

وقال - تعالى - في سورة سبأ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[4]

في حين أن كل الكتب السماوية قبل القرآن في أصلها، وعلى الوجه المتداول حالياً موجهة إلى أقوامٍ معينين.

---

(١) من الآية ٥٦ من سورة النساء.
(٢) الآية ٣ من سورة الكوثر.
(٣) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.
(٤) من الآية ٢٨ من سورة سبأ.

٢- الإسلام دين عام شرعه الله لربط الشعوب على اختلاف ألوانها وألسنتها، حيث محا الله به امتيازات الأجناس والعناصر، وقضى بمبدأ المساواة العامة، وصرح بأن الإنسانية كلها أسرة واحدة أصلها: آدم وحواء، وقد صارت شعوبا وقبائل لا للتنازع والتقاتل، ولكن للتعارف وتبادل المنافع.

ذلك قول الله ـ سبحانه ـ مخاطبا بني الإنسان عموما:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(١)

٣- القرآن الكريم لا يقصد بالنصح والإرشاد شعبًا معينًا ولا أمة بخصوصها، وإنما يخاطب النوع الإنساني بأسره، لأنه دين عام. ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾(٢)

وقوله ـ تعالى ـ في سورج الحج:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾(٣)

ولم يرد في القرآن الكريم مرة واحدة: «يا أيها العرب».

٤- القرآن الكريم فيما يختص بالتشريع والأخلاق احتوى فقط على أصول وقوانين كلية، تاركا الجزئيات لاجتهاد أهله يستنبطونها على حسب الزمان والمكان من كتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) من الآية ١٣ من سورة الحجرات.
(٢) الآية ١٧٤ من سورة النساء.
(٣) الآية ١ من سورة الحج.

مثال ذلك فيما يختص بالشريعة مبدأي العدل المطلق والمساواة.

قال ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾(١)

وعن مبدأ المساواة قال ـ سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٢)

وعلى المسلمين أن يستنبطوا لأنفسهم القوانين العادلة مستمدة من الأصول المبينة في القران الكريم والسُّنة مراعين أحوال الزمان والمكان والصالح.

ولقد قام المسلمون الأولون بذلك في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، ولم يتوقفوا عن الاجتهاد لاستنباط أحكام ما استجد من واقعات إلا حين طرأ الضعف على الأمة، ومايزال باب الاجتهاد مفتوحا، وسيظل ـ إن شاء الله ـ لمن توافرت لديهم شروطه من العلماء الذين وصفهم الله ـ سبحانه ـ في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾(٣)

٥- من أصول الإسلام التسامح. حيث إقامة القرآن الكريم على مبادىء ثابتة، فقرر أن حكمة الله قضت بأن يكون الناس مختلفين في العقائد كلٌ على حسب عقله ونظره. ذلك قول الله ـ تعالى ـ في سورة هود:

---

(١) من الآية ٥٨ من سورة النساء.
(٢) من الآية ١٣ من سورة الحجرات.
(٣) من الآية ٥٦ من سورة القصص.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١)

ذلك أنه لا يستطيع أحد أن يهدي أحداً إلى مذهب أو دين إلا بإذن الله. ذلك قول الله ـ سبحانه ـ لرسوله محمد ﷺ في سورة القصص:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٢)

وقال ـ سبحانه ـ في سورة يونس:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٣)

وهكذا علم القرآن الكريم المسلمين أن اختلاف الأمم في الأديان شيء واقع بإرادة الله ـ تعالى ـ وحكمته، وأنه تابع لدرجة نضج العقول والمدارك، وأن إنسانا لا يستطيع هداية إنسان إلا بإذن الله، وأنه ليس لأحد سيطرة على قلب أحد، وليس لأحد أن يكره أحداً على الإيمان.

نرى هذا واضحا في قول الله ـ سبحانه ـ في سورة الغاشية:

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (٤)

---

(١) الآيتان ١١٨ ، ١١٩ من سورة هود.
(٢) من الآية ٥٦ من سورة القصص.
(٣) الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ من سورة يونس.
(٤) الآية ٢٢ من سورة الغاشية.

وقوله - تعالى - في سورة ق:

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ ﴾[1]

وقوله - تعالى - في سورة الأنعام:

﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾[2]

وبهذا البيان من الله - تعالى - في القرآن يرتفع الحقد من قلوب المسلمين بسبب اختلاف الدين مع غيرهم، وتحل الرحمة والألفة وحسن التعامل مع أهل الأديان الأخرى.

ذلك قول الله - سبحانه - في سورة الممتحنة:

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ ﴾[3]

وحتى مع وقوع الحيف من غير المسلمين يأمر الله المسلمين بالتزام قواعد العدل في التعامل مع أولئك الظالمين.

ذلك قول الله - تعالى - في سورة المائدة:

﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[4]

---

(١) من الآية ٤٥ من سورة ق.
(٢) من الآية ٦٦ من سورة الأنعام.
(٣) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الممتحنة.
(٤) من الآية ٨ من سورة المائدة.

أي لا تحملنكم عداوتكم لقوم على ظلمهم؛ بل اعدلوا معهم هو أقرب للتقوى. ولقد وصى القرآن المسلمين بالعدل حتى في مواطن القتال.

ذلك قول الله ـ سبحانه ـ في سورة البقرة:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(١)

ذلك عدل الله ونوره الذي أفاضه على أمة الإسلام في القرآن. لم تسبق به أمة أخرى في الماضي والحاضر.

٦- ليس في الإسلام رياسة دينية تحتكر الحل والعقد في أصول الدين وفروعه وإنما فيه الدعوة إلى تخصص طائفة متفقهة في الدين من أصوله.

ذلك قول الله ـ سبحانه ـ في سورة التوبة:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾(٢)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾(٣)

فالعلم بالإسلام أصوله وفروعه شائع بين المسلمين ليس اختصاصا لأحد، وإن كان لابد من وجود طائفة متخصصة تكون المرجع للمسلمين في التعرف على أحكام الإسلام تخصصا وليس اختصاصا.

---

(١) الآية ١٩٠ من سورة البقرة.
(٢) الآية ١٢٢ من سورة التوبة.
(٣) من الآية ٨٣ من سورة النساء.

٧- الإسلام ذَمَّ الجمود، ونهى عن التعصب للوراثة.

ذلك قول الله - سبحانه - في سورة الزخرف:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(١)

ثم بالقول الفصل قضى الإسلام على التقليد وعلى المقلدين، ونصح بالنظر في الكون وتعرف أسرار هذه المخلوقات. فقال الله - تعالى - في سورة الروم:

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(٢)

وقال - سبحانه - في سورة الحج:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾(٣)

٨- لقد جاء الإسلام على فترة من الرسل، وكان الناس قد فرقتهم الأهواء والعصبيات، واتبع الرسول أفراد قلائل كانوا يخافون على دينهم حتى قال قائل منهم: أترى يجيء علينا وقت نعبد الله فيه لا نخشى غيره؟ فأنزل الله على رسوله - ﷺ - قوله في سورة النور:

---

(١) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الزخرف.
(٢) من الآية ٤٢ من سورة الروم.
(٣) الآية ٤٦ من سورة الحج.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١)

وقد صدق الله وعده فانتشر الإسلام وامتلأت به جنبات الأرض ونحن ـ المسلمين ـ نترقب تحقيق وعد الله ـ تعالى ـ الذي قد بدت بواده لتعم آيات الله الآفاق جميعا.

ذلك قول الله ـ تعالى ـ في سورة فصلت:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢)

نعم إن وعد الله ـ تعالى ـ دائما لا يتخلف ولا يختلف. ذلك الدين الحق.

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ (٣)

٩- ذلكم هو الإسلام في مقاصده وتربيته الإنسان، فهو تطهير لنفس الإنسان، وتصحيح لسلوكه ليعيش نقيا تقيا يعمر الدنيا وتعمر به على أساس من التقوى والعلم والحكمة والمساواة.

ذلكم القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حوى لكم علوم الدين، ودستور الحياة الصالحة، فاتبعوه تهتدوا وتسعدوا، واحكموا به تعدلوا، ولا تعدلوا عنه فتهلكوا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ (٤)

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النور.
(٢) الآية ٥٣ من سورة فصلت.
(٣) من الآية ٨٨ من سورة ص.
(٤) من الآية ٣ من سورة الطلاق.

الأقسام في القرآن

أقْسَام القرآن الكريم:

كلمة (أقسام) جمع (قَسَم) بفتح القاف والسين، وهذه بمعنى اليمين.

وتأتي ذات كلمة (أقسام) جمع لكلمة: (قِسْم) بكسر القاف وسكون السين ومعناها: جزء الشيء الذي له أجزاء وأقسام.

وفعل (أَقْسَمَ) على وزن (أَفْعَلَ) لازم، ومصدره على وزن إفعال بكسر أوله أي (إقسام) فيقال ـ فيما هو بمعنى اليمين:

أقسم، يَقْسِمْ إقساما، ومن ثم يكون لفظ (قسم) بفتح القاف والسين اسم مصدر، واسما للمعنى الحاصل بالمصدرية، أما اللفظ الآخر (قِسْم) بكسر فسكون بوزن فِعْل، ففعله (قَسَمَ) بفتح القاف على وزن (فَعَلَ).

ومصدر المفتوح القاف والسين (قَسْما) بفتح فسكون، والمكسور القاف (قِسم) يطلق على الحصة والنصيب.

ويقال: قاسمته، يعني: حلفت له، وقاسمته المال، وهو قسيمي، فعيل بمعنى: فاعل، والقَسَم بفتحتين: اسم من أقسم بالله إقساما إذا حلف.

والقاسمة ـ بالفتح ـ تقسم على أولياء المقتول إذا ادَّعوا الدم فيقال: قتل فلان بالقسامة، وذلك إذا اجتمع جماعة من أولياء القتيل فادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم ومعهم دليل لا ينهض بينة صحيحة على دعواهم، فحلفوا خمسين يمينا على أن (المدعي عليه) قتل صاحبهم أو تتوجه القسامة على أهل ناحية فيها قتيل لم يعرف قاتله، وفي هذا تفصيلات في (باب القسامة) في كتب الفقه لا يتسع المجال لتفصيلها وهي علاج لما يحدث في وقتنا من قيد الواقعة ضد مجهول وقد تؤول إلى الإهمال، ويهدر دم هذا القتيل.

ولكن ما شرعه الإسلام من (القسامة) يبعث اليقظة في أهل الحي، أو الناحية، أو القرية للحفاظ على الأرواح، والأمن بوجه عام بسبب هذه المساءلة، وتحميلهم الدية..

وكان لفظ القَسَم ـ بمعنى اليمين ـ أصله في القسامة أن تقسم الأيمان على أولياء المقتول، ثم صار اسما لكل حلف، ثم صار يستعمل في نفس الحلف والأيمان.

ولقد ورد في القرآن الكريم استخدام هذا اللفظ بمشتقات متنوعة: منها في سورة الأعراف قوله ـ تعالى:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾(1)

وفيها:

﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾(2)

وفي سورة الحجر:

﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ ﴾(3)

معنى الحلف أو اليمين:

يقال: حلَف بالله حلِفا بكسر اللام وسكونها.

وأصله العهد بين القوم، والمحالفة والمعاهدة التي تحدث بين فئتين، وقد شاعت في العرب عادة (التحليف) أي التأكيد بالأيمان عند حصول التعاهد أو التحالف، كما شاع على ألسنتهم إطلاق لفظ: (الحلِف) بفتح الحاء وكسر اللام يريدون به اليمين.

---

(1) من الآية ٢١ من سورة الأعراف.

(2) من الآية ٤٩ من سورة الأعراف.

(3) الآيتان ٩٠ ، ٩١ من سورة الحجر.

وقد جاء في القران الكريم في سورة القلم:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾[1]

وفي سورة التوبة:

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]

وفي ذات السورة:

﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[3]

وغير هذا من الآيات جاءت هذه المادة في أساليب متنوعة.

وفي الحديث الشريف الذي رواه البخاري:

«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»

اليمين:

هذا اللفظ يطلق على اليد اليمنى، أو على جهة اليمين.

قال الزمخشري: أخذت بيمينه ويمناه.

وقالوا لليمين: اليمين، وهي مؤنثة. وجمعها أيمنُ وأيمان.

ويمين الحلف مؤنثة وتجمع على أيمن وأيمان.

قال ابن الأنباري:

وقيل: سمي الحلف يمينا، لأنهم كانوا ـ إذا تحالفوا ـ ضرب كل واحد منهم على يمين صاحبه ـ فسمي ٱلحَلِفُ يمينا مجازا.

---

(١) الآيتان ١٠ : ١١ من سورة القلم.

(٢) الآية ٦٢ من سورة التوبة.

(٣) من الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

وكلمة اليمين يراد بها ـ أيضا: القوة والشدة والبركة.

وفي القرآن الكريم في سورة المائدة استعمال الأيمان بمعنى الحلف.

ذلك قول الله ـ سبحانه:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾(١)

ومن ثم يتبين أن كلا من لفظ القسم، واليمين، والإيلاء، والحلف بمعنى واحد، وتهدف جميعا إلى تقوية الكلام وتوكيده.

القسم في القرآن

جرت لغة العرب ـ منذ كانوا ـ على استعمال القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً إثباتا أو نفيا.

وقد جاء القسم ـ في القرآن ـ لكمال الحجة وتأكيدها.

ذلك أن الفصل في الخصومات يعتد إما: بالشهادة أو البينة بمعناها العام. (كل ما يبين الحق ويظهره)..

والقسم ـ أي الحلف ـ وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ هذين النوعين في القرآن الكريم: فقال ـ تعالى ـ في سورة آل عمران:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾(٢)

وقال ـ تعالى ـ في سورة يونس:

﴿ قُلْ إِى وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾(٣)

ونقل السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» أن أعرابيا لما سمع قول الله

---

(١) من الآية ٨٩ من سورة المائدة.

(٢) من الآية ١٨ من سورة آل عمران.

(٣) من الآية ٥٣ من سورة يونس.

ـ تعالى ـ في سورة الذاريات:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۝ ﴾(١)

صرخ وقال: من الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟

ولا يكون القسم إلا باسم معظم.

وقد أقسم الله ـ سبحانه، وتعالى ـ بنفسه في القرآن في سبعة مواضع:

في سورة النساء في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ ﴾(٢)

وفي سورة يونس في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾(٣)

وفي سورة الحجر في قوله ـ سبحانه:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٤)

وفي سورة مريم في قوله ـ تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾(٥)

---

(١) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة الذاريات.

(٢) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٣) الآية ٥٣ من سورة يونس.

(٤) الآية ٩٢ من سورة الحجر.

(٥) من الآية ٦٨ من سورة مريم.

وفي سورة الذاريات في قوله ـ تعالى:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾(1)

وفي سورة التغابن في قوله ـ سبحانه:

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾(2)

وفي سورة المعارج في قوله ـ عز وجل:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾(3)

كما جاء القسم في القرآن الكريم بالمخلوقات.

وتتكون عبارة القسم من أركان أربعة:

(أ) المُقْسِم: وهو الحالف.

(ب) أداة القسم: وهي حرف (الباء) أو حرف (الواو) كما تكون بحرف التاء، وعند هذا تختص بلفظ الجلالة: (الله) ـ سبحانه.

(جـ) المُقْسَم به: ويأتي بعد أداة القسم.

(د) المقسم عليه: المقصود بالحلف، وهو الشيء، أو المعنى المراد تأكيده وتقويته.

وفي القرآن الكريم أمثلة للقسم بهذه الأركان، منها ما سبقت تلاوته، وهي الآيات السبعة التي أقسم الله ـ تعالى ـ فيها بذاته المصونة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته.

---

(1) من الآية ٢٣ من سورة الذاريات.

(2) من الآية ٧ من سورة التغابن.

(3) من الآية ٤٠ من سورة المعارج.

ويأتي القسم في جملة خبرية، وهو الغالب إذا أريد به تحقيق المقسم عليه كقوله ـ تعالى ـ في سورة الذاريات:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾(١)

ويأتي القسم في جملة طلبية.

كقوله ـ تعالى ـ في سورة الحجر:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد ورد النهي عن القسم بغير الله ـ تعالى ـ فيما رواه البخاري في باب: (لا تحلفوا بآبائكم) من قول الرسول ﷺ:

«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»

لكن قد ورد في القرآن الكريم الحلف بالمخلوقات. وقد أجيب عن هذا بأوجه كما نقل السيوطي في كتابه: «الإتقان».

أحدها: أن القسم على حذف مضاف فقول الله سبحانه:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ (٣)

على تقدير: ورب أي ورب التين، ورب الزيتون.

الوجه الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء، وتقسم بها. فنزل القرآن على ما يعرفون.

الوجه الثالث أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم، أو يجله أو هو فوقه.

والله ـ سبحانه ـ ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه، وتارة بمصنوعاته، التي تدل على أنه ـ سبحانه ـ خالقها وصانعها.

---

(١) من الآية ٢٣ من سورة الذرايات.

(٢) الآيتان ٩٢، ٩٣ من سورة الحجر.

(٣) الآية ١ من سورة التين.

ولأن القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع. لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

ونقل ـ تبريرا للقسم في القرآن الكريم بالمخلوقات: أن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله سبحانه.

والأظهر أن يقال: إن في القسم في القرآن الكريم بالمخلوقات توجيها لأبصار وبصائر الناس إلى النظر في تلك المخلوقات، وأحكام صنعها، واستجلاء فوائدها لإعمار الحياة.

وقد قال أبوالقاسم القشيري في هذا: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين:

إما بالمنفعة في القسم به للناس كقوله ـ سبحانه:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ (١)

وإما لفضيلة في (المقسم به) كقوله ـ سبحانه ـ في ذات السورة:

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ (٢)

وقال غيره: أقسم الله ـ تعالى ـ بثلاثة أشياء:

(أ) بذاته ـ سبحانه ـ كما في الآيات السبعة سالفة التلاوة.

(ب) وبفعله ـ نحو ما جاء في سورة الشمس: قوله ـ تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ (٣)

(جـ) وبمفعوله ـ نحو قوله ـ سبحانه ـ في سورة الطور:

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ (٤)

---

(١) الآية ١ من سورة التين.
(٢) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة التين.
(٣) الآيات ٥ : ٧ من سورة الشمس.
(٤) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الطور.

وفي سورة النجم:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾(١)

والقسم: إما ظاهر كما في هذه الآيات.

وإما مضمر وهو قسمان:

(أ) قسم دلت عليه (اللام) نحو ما جاء في قول الله ـ سبحانه ـ في سورة آل عمران:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾(٢)

(ب) وقسم دل عليه المعنى، نحو قوله ـ تعالى ـ في سورة مريم:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٣)

أي والله.

وفي القرآن الكريم ألفاظ جرت مجرى القسم، وهي نوعان:

أحدهما: ما تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم، فلا تجاب بجوابه كقول ـ تعالى ـ في سورة الحديد:

﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

وقوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ (٥)

وفي سورة التوبة قوله ـ تعالى:

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ ﴾ (٦)

---

(١) من الآية ١ من سورة النجم.

(٢) من الآية ١٨٦ من سورة آل عمران.

(٣) من الآية ٧١ من سورة مريم.

(٤) من الآية ٨ من سورة الحديد.

(٥) من الآية ٩٣ من سورة البقرة.

(٦) من الآية ٩٦ من سورة التوبة.

وهذا وأمثاله يجوز أن يكون قسماً، وأن لا يكون كذلك لخلوه من الجواب.

والنوع الآخر: ما يتلقى بجواب القسم:

كقوله ـ تعالى ـ في سورة آل عمران:

(وإذا أخذ الله ميثق الذين أوتو الكتب لتبيننه للناس ولاتكتمونه) [1]

وفي سورة النور:

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾[2]

وقال بعض العلماء:

أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا (بالواو).

فإذا ذكرت (الباء) أتي بالفعل كقوله ـ تعالى ـ في سورة النور:

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾[3]

وفي سورة التوبة:

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ ﴾[4]

ولا تجد (الباء) مع حذف الفعل. ثم قال:

ومن ثم كان خطأ من جعل قسما ما جاء في قول الله ـ سبحانه ـ في سورة لقمان:

﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [5]

---

(١) من الآية ١٨٧ من سورة آل عمران.

(٢) من الآية ٥٣ من سورة النور.

(٣) من الآية ٥٣ من سورة النور.

(٤) من الآية ٩٦ من سورة التوبة.

(٥) من الآية ١٣ من سورة لقمان.

وفي سورة الزخرف:

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴾[1]

وفي سورة المائدة قوله ـ سبحانه:

﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ ﴾[2]

ثم إن الله ـ سبحانه ـ يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته. وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنها من عظيم آياته.

وقد يراد بالقسم تحقيق المقسم عليه، وقد يراد به تحقيقه وتوكيده، وعندئذ لابد أن يكون مما يحسن فيه، وذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

فالأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها، ولا يقسم عليها.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يقسم على أصول الأيمان التي يجب على الخلق معرفتها.

وتارة يقسم على التوحيد كما في قوله ـ تعالى:

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ ﴾[3]

وتارة يقسم على أن القرآن الكريم حق كما في قوله ـ تعالى ـ في سورة الواقعة:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾[4]

---

(١) من الآية ٤٩ من سورة الزخرف.
(٢) من الآية ١١٦ من سورة المائدة.
(٣) الآيات ١ : ٤ من سورة الصافات.
(٤) الآيات ٧٥ : ٧٧ من سورة الواقعة.

وتارة يقسم على أن الرسول ﷺ حق كما جاء في قوله ـ تعالى:

﴿ يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾(١)

وقوله ـ سبحانه:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾(٢)

وتارة يقسم الله على الجزاء والوعد والوعيد كما في قوله ـ تعالى:

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾(٣)

وقوله ـ تعالى:

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾(٤)

وتارة يقسم على حال الإنسان كما في قوله ـ تعالى:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾(٥)

---

(١) الآيات ١ : ٣ من سورة يس.
(٢) الآيات ١ : ٤ من سورة النجم.
(٣) الآيات ١ : ٦ من سورة الذاريات.
(٤) الآيات ١ : ٧ من سورة المرسلات.
(٥) الآيات ١ : ٤ من سورة الليل.

وقوله - سبحانه:

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾(١)

وقوله - تعالى:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾(٢)

وقوله - تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾(٣)

وقوله - سبحانه:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾(٤)

وقد أمر الله نبيه محمدا ﷺ في القرآن الكريم أن يقسم على الجزاء والميعاد في الآخرة؛ فقال - سبحانه - في سورة يونس:

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣ ﴾(٥)

---

(١) الآيات ١ : ٦ من سورة العاديات.

(٢) الآيات ١ : ٣ من سورة العصر.

(٣) الآيات ١ : ٤ من سورة التين.

(٤) الآيات ١ : ٤ من سورة البلد.

(٥) الآية ٥٣ من سورة يونس.

وقوله ـ تعالى ـ في سورة سبأ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)

وفي سورة التغابن:

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ ﴾ (٢)

توجيه الرسول ﷺ بهذه الآيات إلى القسم على الجزاء والميعاد يوم القيامة؛ لأن هذا لا يعلمه عامة الناس إلا بإخبار الأنبياء، وإن كان من الناس من قد يعلمه بإمعان النظر.

ولقد أقسم الله ـ سبحانه ـ على ثبوت الجزاء المتضمن إثبات الرسالة للنبي محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن الكريم والميعاد حق، لحاجة النفوس إلى معرفتها والإيمان بها؛ وذلك في قوله ـ تعالى:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ ﴾(٣)

على نحو ما جاء في هذه السورة. والنفس اللوامة كما نقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:

إن كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، المحسن يلوم نفسه إن لم يكن قد ازداد إحسانا، والمسيء يلوم نفسه إن لم يكن قد رجع وارتدع عن إساءته. وهذا اللوم

---

(١) الآية ٣ من سورة سبأ.

(٢) الآية ٧ من سورة التغابن.

(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة القيامة.

للنفس، والتلاوم بين الناس قد أوضح القرآن الكريم أنه أمر واقع يوم القيامة؛ فلابد لكل إنسان أن يلوم نفسه - أو غيره - على أمر فاته، وقد يكون هذا اللوم محموداً. وقد يكون مذموماً كما في قول الله - تعالى - في سورة القلم:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝ ﴾ (١)

وقوله - تعالى - في سورة المائدة:

﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (٢)

فهذا لوم غير محمود.

والنفس - بهذا الوصف - متلومة مترددة لا تثبت على حال، ومن هنا كانت في حاجة إلى من يعرفها الخير والشر، ويدلها عليه ويرشدها إليه، فكانت ضرورتها إلى التصديق برسالة النبي ﷺ وبالقرآن الكريم وأنها لا غنى لها عن ذلك، ولا صلاح ولا فلاح بدون الاستمساك بالقرآن الكريم والسنة؛ ففيهما الهدى والرشاد، قال رسول الله ﷺ:

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما أبداً: كتاب الله وسنتي».(٣)

مثال من الأقسام في القرآن الكريم وتفسيره:

مما أقسم الله - سبحانه - في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الانشقاق:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝ ﴾(٤)

---

(١) الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة القلم.

(٢) من الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٣) راجع خطبة الوداع بسنن أبي داود وابن ماجه، والقدر في موطأ مالك.

(٤) الآيات ١٦ : ١٩ من سورة الانشقاق.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه: «التبيان في أقسام القرآن» في شأن هذا القسم: أقسم الله بثلاثة أشياء متعلقة بالليل:

أحدها: الشفق، وهو ـ في اللغة: الحمرة بعد غروب الشمس إلى دخول وقت صلاة العشاء الآخرة. وكذلك هو في الشرع. قال الفراء والليث والزجاج وغيرهم: الشفق الحمرة في السماء. وأصل اللفظ موضوع لرقه الشيء، ومنه شيء شفق أي لا تماسك له لرقته، ومنه الشفقة بمعنى الرقة.

ويقول أهل اللغة: الشفق بقية ضوء حمرتها. ولهذا كان الصحيح أن الشفق الذي يدخل وقت العشاء بغيبوبته هو الحمرة. فإن الحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس جعل بقاؤها حداً لوقت المغرب. فإذا ذهبت الحمرة بعدت الشمس عن الأفق الغربي فدخل وقت العشاء.

وأما البياض فإنه يمتد وقته بطول لبثه، ويكون حاصلا مع بعد الشمس عن الأفق.

ولهذا صح عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: الشفق الحمرة. وحكى الفراء أن العرب تقول: ثوب مصبوغ كأنه الشفق إذا كان أحمر.

ومن تفسير الشفق جاء اختلاف الفقهاء في انتهاء وقت صلاة المغرب، وابتداء وقت صلاة العشاء.

فذهب أكثر الفقهاء إلى أن ذهاب الشفق الأحمر من الأفق الذي غربت فيه الشمس هو بدء صلاة العشاء، وبه أيضا يخرج وقت صلاة المغرب أخذا بما قال به جمع من الصحابة والتابعين، وهو قول أهل اللغة. وخالف الإمام أبوحنيفة فقال: الشفق البياض الذي يعقب الحمرة.

وفي قول آخر له: إن الشفق الحمرة.

وإذا كان أهل اللغة قد اتفقوا على أن الشفق الحمرة، ولم يثر خلاف ـ في هذا ـ في عصر الرسول ﷺ، ونقل كذلك عن كثير من أصحابه والتابعين كان

الأخذ بهذا أولى. ولم يكن لأولئك الذين يثيرون الآن خلافا في وقت دخول وقت العشاء بغيبوبة الشفق الأحمر محلا ولا مقالا.

والقسم (بالليل وما وسق) أي بما ضم وما حوى. وما ضمه آية أخرى، والقمر واتساقه أي امتلاؤه. آية كذلك، والشفق - ويتضمن إدبار النهار - آية، وإقبال الليل من بعده آية فهما: أي الليل والنهار يتعاقبان.

وفي الحديث: «اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعائك، وحضور صلواتك»[1] وقد شرع ذكر الله بصلاة الفجر عند إدبار الليل وإقبال النهار، ولهذا يقسم الله بهذين الوقتين في قوله تعالى - في سورة المدثر:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ ﴾[2]

وهذا يقابل أقسامه بالشفق، ونظير أقسامه بقوله - تعالى - في سورة التكوير:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾[3]

ثم إن قوله - تعالى:

﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[4]

الظاهر أنه جواب القسم في قوله - تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾[5]

---

(١) رواه أبو داود عن أم سلمة كتاب الصلاة: باب ما يقول عند أذان المغرب.

(٢) الآيتان ٣٣، ٣٤ من سورة المدثر.

(٣) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة التكوير.

(٤) الآية ١٩ من سورة الانشقاق.

(٥) الآية ١٦ من سورة الانشقاق.

وما بعده.

ويجوز أن هذا القسم محذوف جوابه، وأن جملة قوله ـ تعالى:

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾(١)

وما بعدها مستأنف.

نقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في معنى هذه الجملة (لتركبن طبقا عن طبق) لتصير الأمور حالاً بعد حال.

قال ابن القيم ـ بعد نقول كثيرة في معنى هذه الجملة:

وأنت إذا تأملت هذا المقسم به والمقسم عليه وجدته من أعظم الآيات الدالة على الربوبية، وتغيير الله ـ سبحانه، وتعالى ـ العالم وتصريفه له كيف أراد، ونقله من حال إلى حال، وهذا محال أن يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له؛ فالقسم ـ به وعليه ـ من أعظم الأدلة على ربوبيته وتوحيده وصفات كماله وصدقه وصدق رسله وعلى الميعاد، ولهذا عقب ذلك بقوله ـ تعالى: (فما لهم لا يؤمنون) إنكاراً على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لمدلولها، وأنكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقرآن الكريم المشتمل على ذلك بأفصح عبارة وأبينها وأوجزها وأجزلها.

فالمعنى أشرف معنى والعبارة أشرف عبارة: غاية الحق بغاية البيان والفصاحة (بل الذين كفروا يكذبون) فلا يصدقون بالحق جحوداً وعناداً، والله أعلم بما يضمرون في صدورهم ويكتمونه، وما يسرونه من أعمالهم وما يجمعونه فيجازيهم عليه بعلمه وعدله:

---

(١) الآية ١٩ من سورة الانشقاق.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[1]

هذا:

ولقد تابع ابن القيم في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) الحديث عن الأقسام التي وردت في القرآن، مفسرا لها، مبينا أركان كل قسم، متحدثا عما يتبع موضوع القسم من علوم بإفاضة تارة وبإيجاز أخرى.

(١) الآية ٢٥ من سورة الانشقاق.

حرف النفي في صدر بعض الأقسام

كثر تصدير القسم بحرف النفي في مواضع من القرآن مثل ما جاء في سورة الانشقاق من قول الله ـ سبحانه:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾(١)

وفي سورة القيامة:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾(٢)

وما جاء في سورة الحاقة:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ ﴾(٣)

وفي سورة النساء:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥ ﴾(٤)

وغير هذا مما سبق تلاوته، والحديث عنه.

وقد يبدو للبعض أن هذا النفي الذي تصدر الأقسام المتلوة وغيرها مما جاء على شاكلتها في افتتاح القسم بحرف النفي يناقض القسم الذي استهدف به التقوية.

ولقد تحدث العلماء في إزالة هذا التناقض المتبادر من تلاوة تلك الآيات ومثيلاتها فقالوا:

(أ) إن حرف النفي زائد، والتقدير: (أقسم بالشفق. والليل وما وسق) وهكذا في كل المثل المشار إليها، وغيرها مما جاء على شاكلتها.

---

(١) الآية ١٦ من سورة الانشقاق.

(٢) الآيتان ١ ، ٢ من سورة القيامة.

(٣) الآيات ٣٨ : ٤٠ من سورة الحاقة.

(٤) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(ب) إنها أداة نفي لمحذوف، يقتضي المقام نفيه ورده، والتقدير ليس الأمر كما زعموا.

(جـ) إنها لنفي الحاجة إلى القسم، وهذا يجعل المقام مستغنيا باليقين والثقة عن الأقسام، كما يقول رجل لآخر - في شأن حاجة أو رأي يتبادلانه: أنا لا أحلف لك على كذا.

باعتباره أنه ظاهر وواضح، وليس في حاجة إلى هذا القسم.

وهذا الوجه الأخير هو الأحرى بالقبول لما وجه إلى القولين السابقين عليه من محاذير.

الأقسام أو الأيمان التي يحلف بها الناس

جرى الحديث عن الأقسام - جمع قسم - مسند إلى الله - عز وجل - في القرآن الكريم.

ونتعرف فيما يلي عن الأيمان أو الأقسام التي يحلف بها الناس وحكمها.

ولفظ: (الأيمان) جمع: (يمين) نظير (أقسام) واحدها (قَسَم).

واليمين: هي اليد المقابلة لليد اليسرى، وسمي بها الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل بيمين صاحبه. وقيل: لأنها تحفظ الشيء كما تحفظه اليمين؛ ولأن اليد اليمنى هي القوية في الاستعمال لدى أغلب الناس.

ويقصد - باليمين في الشرع - تحقيق الأمر وتوكيده بذكر اسم الله تعالى - أو صفة من صفاته. أو قول يقوي به الحالف عزمه على فعل شيء أو تركه، ويجري بعدة ألفاظ متغايرة، فاليمين والحلف والقسم والإيلاء كلها بمعنى واحد.

الحلف يكون بذكر اسم الله، أو صفة من صفاته سواء أكانت من صفات الذات أم من صفات الأفعال كقول الحالف: و«الله»، و«عزة الله»، و«عظمة الله» و«كبريائه» و«قدرته» و«إرادته» و«علمه». ويجري في هذا أيضا: الحلف بالمصحف أو القرآن، أو سورة منه.

ومما ورد من صيغ الأقسام في القرآن قول الله - سبحانه - في سورة الذاريات:

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1]

---

(١) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة الذاريات.

وفي سورة المعارج:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾(١)

وفي حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ الذي رواه أبوداود: كان رسول الله ﷺ إذا اجتهد في الدعاء قال: «والذي نفس أبي القاسم بيده».

وفي حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الذي رواه الخمسة إلا (مسلما) عن أبي سعيد الخدري كانت يمين النبي ﷺ «لا، ومقلب القلوب».

ومما جرى على ألسنة السلف في الحلف:

(وأيم الله، وعَمْرِ الله، وأقسمت عليك)

ومعنى: وأيم الله، والله أو وحق الله.

وفي فقه الإمامين: أبي حنيفة ومالك أن عبارة (ويمين الله) يمين لأنها بمعنى: أحلف بالله.

وفي فقه الشافعية أن عبارة: (وأيم الله) لا ينعقد بها اليمين إلا بالنية؛ فإن نوى الحالف بها اليمين انعقدت، وإن لم ينو لم تنعقد.

وفي فقه الإمام أحمد بن حنبل: روايتان، أقواهما أنها تنعقد يمينا دون توقف على النية.

وفي الفقه الشافعي: أن كل ما ذكر فيه اسم الله يكون يمينا، وإن ما لم يذكر فيه اسم الله لا يكون يمينا وإن نوى اليمين.

وفي فقه مالك: إن قال الحالف: أقسمت بالله كان يمينا، وإن قال: أقسمت أو أقسمت عليك، فإنه في هذه الصور لا يكون يمينا إلا بالنية.

---

(١) الأيتان ٤٠ ، ٤١ سورة المعارج.

الحلف بالبراءة من الإسلام أو بأنه غير مسلم

من حلف من المسلمين بأنه يهودي أو نصراني أو أنه بريء من الله أو من رسول الله ﷺ:

قال الشافعي وجماعة من الفقهاء: ليس هذا بيمين ولا كفارة عليه؛ لأن النصوص اقتصرت على تهديد وزجر من يتكلم بهذا.

روى أبوداود والنسائي عن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال: إني بريء من الإسلام؛ فإن كان كاذبا فهو كما قال» (أي عقوبة على كذبه) وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما (أي إن قصد بذلك إبعاد نفسه، وإن أراد الحلف إذا فعل المحلوف عليه كفر. والعياذ بالله).

وفي كل الأحوال عليه أن يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ﷺ، ويستغفر الله، ويتوب ويندم على ما صدر منه.

روى الخمسة عن ثابت عن الضحاك أن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال».

وفي الفقه الحنفي، والفقه الحنبلي، وعند إسحاق، وسفيان، والأوزاعي: أن الحلف بهذا يمين، وعليه الكفارة وإن حنث.

الحلف بغير الله محرم:

وإذا تقرر أن اليمين لا يكون إلا بـ«ذكر الله أو بذكر صفة من صفاته» حرم الحلف بغير ذلك، لأن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، والله - وحده - هو المخصوص بالتعظيم.

ومن ثم فمن حلف بغير الله فأقسم بالنبي، أو بالولي، أو بالملك كجبريل وميكائيل أو بالكعبة أو بالأب أو ما شابه ذلك لم تنعقد يمينه، ولا كفارة عليه إذا حنث، وأثم بتعظيم غير الله سبحانه

وقد روى الخمسة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في جمع من الناس، وهو يحلف بأبيه ـ فناداهم رسول الله ﷺ:

«ألا إن الله عز وجل ـ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم؛ فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت».

فقال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً (أي حاكيا عن غيره).

وروى أبوداود والترمذي أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ سمع رجلا يحلف: لا والكعبة. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

وروى الخمسة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ:

«من حلف منكم فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: «لا إله إلا الله». ومن قال ـ لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق».

أي أن من حلف بهذين الصنمين، أو أحدهما فليستغفر بقوله: «لا إله إلا الله» ومن طالب بلعب القمار مع غيره فليتصدق.

أي أن من حلف بهذين الصنمين، أو أحدهما فليستغفر بقوله: (لا إله إلا الله) ومن طالب بلعب القمار مع غيره فليتصدق.

وعن أبي داود: «من حلف بالأمانة فليس منا» أي ليس هذا على طريقة المسلمين.

وروى أبوداود والنسائي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد أي (بالأصنام) ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون».

كراهية الحلف بغير الله لشبهة التعظيم

جاء النهي صريحًا عن الحلف بغير الله لما في هذا من تعظيم المحلوف به، ولا يكون التعظيم إلا لله ـ سبحانه.

فإذا كان الحلف بغير الله مقصوداً به مجرد التأكيد دون تعظيم للمحلوف به كان مكروها؛ لأنه يشعر بالتعظيم.

ولا يقال: إنه قد نقل أن رسول الله ﷺ قال للأعرابي: (أفلح وأبيه) فقد قال البيهقي: إن ذلك يقع من العرب ويجري على ألسنتهم من دون قصد. وبمثله قال النووي. ومن ثم فلا حجة في مثل هذا، والامتناع عنه أولى وأوجب.

ذلك؛ لأن القسم بالمخلوقات مما اختص الله به، وله مثل كثيرة واردة في القرآن الكريم قسما من الله ببعض مخلوقاته، بيانا لقدرها ونفعها وعظمها، لفتا للأبصار والبصائر إلى التدبر فيها.

أما البشر فلا يجوز لأحد ـ لاسيما المسلمين ـ أن يقسم إلا بالله أو بصفة من صفاته على نحو ما سبق إيضاحه.

شروط اليمين وركنها:

واليمين يشترط لانعقادها: العقل والبلوغ والإسلام والاختيار، وإمكان الوفاء بالمحلوف عليه، وركنها اللفظ المستعمل فيها.

ومن ثم فإن يمين الْمُكْرَهِ والمجنون والمعتوه والصبي لا تنعقد.

أقسام اليمين:

(أ) اليمين اللغو.

(ب) اليمين المنعقدة.

(جـ) اليمين الغموس.

اليمين اللغو وحكمها:

هذه اليمين: هي الحلف دون قصد اليمين، وإنما تجري على الألسنة من غير أن يتعلق بها إلزام للحالف أو لغيره كأن يقول إنسان لآخر: والله لتزورَنِي، ونحو هذا لا يراد منه اليمين، فهو من لغو الكلام. وقد روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: أنزلت هذه الآية:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾(١)

في قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وكلا والله»

وفي فقه أبي حنيفة، ومالك، والليث، والأوزاعي، لغو اليمين: أن يحلف على شيء يظن صدقه فيظهر خلافه فهو من باب الخطأ.

وفي الفقه الحنبلي: روايتان كالسابقتين.

وقد نصت الآية:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾(٢)

على نفي المؤاخذة على هذه اليمين، لأنها غير منعقدة، ومن ثم فلا كفارة عليها.

اليمين المنعقدة:

هي اليمين التي يعقدها الحالف، ويصر عليها، فهي يمين متعمدة مقصودة، توافق النطق باللسان، وانعقاد الجنان عليها، وليست من اللغو الذي يجري به اللسان بمقتضى العادة والعرف.

وقيل:

إن اليمين المنعقدة: أن يحلف على أمر من المستقبل أن يفعله أو لا يفعله.

---

(١) من الآية ٢٢٥ سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢٢٥ سورة البقرة.

وحكم اليمين المنعقدة لزوم الوفاء بالمحلوف عليه ما لم يكن إثما ووجوب الكفارة عند الحنث، أي الإخلال بالوفاء بما حلف عليه.

ذلك ما يستفاد من قول الله ـ سبحانه، وتعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (١)

وفي سورة المائدة:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾ (٢)

اليمين الغموس:

وهي الحلف بالله على أمر ماض متعمد الكذب وهي التي تسمى أيضا الكاذبة، والصابرة؛ ذلك لأنها تهضم الحقوق، أو يقصد بها الخيانة والفسق.

وهذه اليمين من كبائر الآثام، ولا كفارة لها في فقه المذهب الحنفي. ورواية عن مالك لأنها أعظم من أن تكفر. وعند الشافعي ورواية عن أحمد فيها كفارة.

وقد سميت بـ«الغموس» لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم.

وتجب التوبة عنها، ورد الحقوق إلى أصحابها ـ إذا ترتب عليها ضياع أية حقوق.

قال الله في سورة النحل:

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ (٣)

---

(١) من الآية ٢٢٥ سورة البقرة.

(٢) من الآية ٨٩ سورة المائدة.

(٣) الآية ٩٤ سورة النحل.

روى أحمد وأبوالشيخ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «خمس ليس لها كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت مؤمن، والفرار يوم الزحف، ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق».

وروى البخاري عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس».

وفي الحديث الذي رواه النسائي عن عدي بن عدي قال النبي ﷺ:

من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقي الله عز وجل ـ وهو عليه غضبان ـ قال رجاء: وتلا رسول الله ﷺ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١)

الأيمان تبنى على العرف:

إن أمر الأيمان مبناها العرف الذي درج عليه الناس؛ وليس على الدلالات اللغوية، ولا المصطلحات الشرعية فمن حلف ألا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث، وإن كان الله ـ سبحانه ـ قد سماه لحما في القرآن حيث قال ـ سبحانه ـ في سورة النحل:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا ﴾ (٢)

ومن تصفح كتب المذاهب وجد عباراتها في هذا الموضوع تختلف على الوجه التالي:

---

(١) من الآية ٧٧ سورة آل عمران.
(٢) من الآية ١٤ سورة النحل.

فالحنفية: يذكرون مراعاة العرف فاللغة، ولا يقسمون العرف إلى: فعلي وقولي وشرعي، ولعلهم اكتفوا بأن الكلمة إذا أطلقت لم تتنازعها أعراف مختلفة؛ لأنها قد يكون المشهور فيها هو الفعلي فقط، أو القولي فقط، أو الشرعي فقط؛ فلا حاجة لترتيبها.

والمالكية: ذكر بعضهم العرف الفعلي وقدمه على القولي، وأغفله بعضهم، ومنهم من قدم الشرعي على اللغوي، ومنهم من عكس.

والشافعية: لم يفصلوا في العرف، ثم إنهم تارة يقدمون العرف على اللغة، وتارة يعكسون.

والحنابلة: قدموا المعنى الشرعي، وأتبعوه بالعرفي، فاللغوي، ولم يقسموا العرفي إلى فعلي وقولي.

(أ) مذهب الحنفية:

الأصل في الألفاظ التي يأتي بها الحالف أن يراعى فيها معنى المفردات في اللغة، وأن يراعى المعنى التركيبي من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد بالوقت، أو بغيره من القيود، ومعاني الحروف التي فيها كالواو والفاء و«ثم» و«أو».

وإنما يراعى المعنى اللغوي إذا لم يكن كلام الناس بخلافه؛ فإن كان كلام الناس بخلافه وجب حمل اللفظ على ما تعارفه الناس، فيكون (حقيقة عرفية).

ومن أدلة تقديم المعنى العرفي على اللغوي الأصلي ما روي: أن رجلا جاء إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقال: إن صاحباً لنا مات وأوصى ببدنة، أفتجزي عنه البقرة؟ فقال: «ممن صاحبكم؟» فقال: من (بني رباح)، فقال: «متى اقتنت بنو رباح البقر؟ إنما البقر للأزد، وذهب وَهْمُ صاحبكم إلى الإبل»

فهذا الأثر أصل أصيل في حمل الكلام المطلق على ما يريده الناس، ولا شك أن إرادة الناس تذهب إلى المعنى العرفي، فيما له معنى لغوي ومعنى عرفي، فالظاهر عند إطلاق اللفظ إرادة المعنى العرفي، ولهذا لو قال الغريم لغريمه: والله

---

(١) يعني أنه لم يخطر ببال صاحبكم عند النطق بهذه الوصيةإلا الإبل.

لأجرنك في الشوك لم يرد به حقيقته اللغوية عادة، وإنما يريد شدة المطل، فلا يحنث بعدم جره في الشوك، وإنما يحنث بإعطائه الدين من غير مماطلة.

ولو حلف: ألا يجلس في سراج، فجلس في الشمس لم يحنث، وإن كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ سماها: سراجا في قوله: ـ تعالى:

﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾(١)

وكذا لا يحنث من جلس على الأرض وكان قد حلف ألا يجلس على بساط، وإن كان الله عز وجل ـ سمى الأرض بساطا في قوله: ـ تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾(٢)

وكذا من حلف ألا يمس وتدا، فمس جبلا لا يحنث، وإن سَمَّاهُ الله ـ سبحانه وتدا في قوله:

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾(٣)

وكذا من حلف: لا يركب دابة، فركب إنسانا لم يحنث؛ لأنه لا يسمى دابة في العرف، وإن كان يسمى دابة في اللغة..

وهذا كله حيث لم يجعل اللفظ في العرف مجازاً عن معنى آخر، كما لو حلف: (لا يضع قدمه في دار فلان)، فإنه صار مجازاً عن الدخول مطلقًا؛ ففي هذا لا يعتبر اللفظ أصلا حتى لو وضع قدمه ولم يدخل لا يحنث؛ لأن المعنى الأصلي والعرفي للفظ قد هجر، وصار المراد به معنى آخر.

---

(١) من الآية ١٦ سورة نوح.
(٢) الآية ١٩ سورة نوح.
(٣) الآية ٧ سورة النبأ.

ومثله: لا آكل من هذه الشجرة ـ وهي من الأشجار التي لا تثمر ولم تجر العادة بأكل شيء منها ـ فهذه العبارة تنصرف إلى الانتفاع بثمنها، فلا يحنث بتناول شيء منها ومضغه وابتلاعه.

(ب) مذهب المالكية:

إذا لم يوجد مستحلف ذو حق، ولم ينو الحالف نية معتبرة، ولم يكن لليمين بساط دال على مخالفة الظاهر، فالمعتمد اعتبار العرف الفعلي، كما لو حلف: لا يأكل خبزا، وكان أهل بلده لا يأكلون إلا خبز القمح، فأكل القمح عندهم عرف فعلي، فهو مخصص للخبز الذي حلف على عدم أكله، فلا يحنث بأكل خبز الذرة..

فإن لم يكن عرف (فعلي) اعتبر العرف (القولي)، كما لو كان عرف قوم استعمال لفظ الدابة في الحمار وحده، ولفظ الثوب فيما يلبس من جهة الرأس، ويسلك في العنق، فحلف حالف منهم ألا يشتري دابة أو ثوبا، فلا يحنث بشراء فرس ولا عمامة.

فإن لم يكن عرف فعلي ولا قولي اعتبر العرف الشرعي، فمن حلف: لا يصلي في هذا الوقت، أو لا يصوم غدا، أو لا يتوضأ الآن، أو لا يتيمم حنث بالشرعي من ذلك دون اللغوي فلا يحنث بالدعاء، ولا بالصلاة على النبي ﷺ، مع أنهما يسميان صلاة في اللغة، ولا يحنث بالإمساك عن الطعام والشراب من غير نية، وإن كان يسمى صياما في اللغة، ولا بغسل اليدين إلى الرسغين، مع أنه يسمى وضوءا في اللغة، ولا بقصده إنسانا والذهاب إليه مع أنه يسمى تيمما في اللغة..

فإن لم يوجد ما يدل على مخالفة الظاهر اللغوي، من (نية) أو (بساط) أو عرف (فعلي) أو (قولي) أو (شرعي)، حملت اليمين على الظاهر اللغوي، فمن حلف لا يركب دابة أو لا يلبس ثوبا، وليس له نية، ولا لأهل بلده عرف في دابة معينة أو ثوب معين، حنث بركوبه التمساح ولبس العمامة؛ لأن ذلك هو المدلول اللغوي[1]

---

(١) الشرح الصغير بحاشية الصاوي ص/ ٣٣٧ - ٣٤٠ والشرح الكبير بحاشية الدسوقي ص/ ١٣٦ - ١٤٠.

(جـ) مذهب الشافعية:

الأصل عندهم: أن يتبع المعنى اللغوي عند ظهوره وشموله، ثم يتبع العرف إذا كان مطردا، وكانت الحقيقة بعيدة، مثل لا آكل من هذه الشجرة؛ فإنه يحمل على الثمر لا الورق، ولو حلف: لا يأكل الرأس، حمل على رؤوس النعم، وهي: البقر والإبل والغنم، لأنها هي المتعارفة حتى إن اختص بعضها ببلد الحالف، بخلاف رأس الطير والحوت والظبي ونحوها؛ فلا تحمل اليمين على شيء منها إلا إذا جرت العادة ببيعها في بلد الحالف، لأنها لا تفهم من اللفظ عند إطلاقه.

(د) مذهب الحنابلة:

إن عدمت النية والسبب رجع في اليمين إلى ما تناوله الاسم شرعا فعرفا فلغة، فاليمين على الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والوضوء والبيع ونحوها من كل ماله معنى شرعي ومعنى لغوى تحمل على المعنى الشرعي عند الإطلاق، ويحمل على الصحيح دون الفاسد، فيما عدا الحج والعمرة.

ولو قيد حالف يمينه بما لا يصح شرعا، كأن حلف لا يبيع الخمر، ففعل، حنث بصورة ذلك العقد الفاسد لتعذر الصحيح.

والعبرة بنية المحلف لا الحالف وإلا لم يكن للأيمْان في التقاضي فائدة..

قال النووي:

إن اليمين على نية الحالف في كل الأحوال إلا إذا استحلفه القاضي أو نائبه في دعوى توجهت عليه فهي على نية القاضي أو نائبه. ولا تصح التورية هنا، وتصح في كل حال، ولا يحنث بها وإن كانت حراما، إذا حلف على باطل بطريق التورية.

ويدل على أن العبرة بنية الحالف إلا إذا حلفه غيره ما رواه أبوداود وابن ماجه عن سويد بن حنظلة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ومعنا (وائل بن حجر) فأخذه عدو له، فتحرج القوم أن يحلفوا، وحلفت أنه أخي فخلى سبيله، فأتينا

النبي ﷺ، فأخبرته أن القوم تحرجوا أن يحلفوا، وحلفت أنه أخي قال: صدقت المسلم أخ المسلم.

ويدل على أن العبرة بنية المستحلف ـ إذا استحلف على شيء ما رواه مسلم في صحيحه وأبوداود والترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «اليمين على نية المستحلف».

وفي رواية: «يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك» والصاحب هو المستحلف وهو طالب اليمين.

حكم النسيان والخطأ والإكراه والاشتباه في اليمين:

من حلف ألا يفعل شيئًا ففعله نسيانًا، أو خطأ فلا إثم عليه ولا كفارة لقوله ـ سبحانه ـ في سورة الأحزاب:

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (١)

وقول الرسول ﷺ الذي رواه الطبراني عن أبي ذر: «إن الله تجاوز لي عن أمتي: الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٢)

ومن ثم كانت يمين المكره غير لازمة، بمعنى: أنه لا يلزمه الوفاء بما حلف عليه، ولا يأثم إذا حنث فيها لهذا الحديث ولعموم قول الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

---

(١) من الآية ٥ سورة الأحزاب.

(٢) من الآية ٢٥٦ سورة البقرة.

الاستثناء في اليمين

ومن حلف واستثنى بأن أعقب صيغة اليمين بقوله: (إن شاء الله)، فلا حنث عليه حيث أذن الله ورسوله ـ بالاستثناء في القول.

قال تعالى في سورة الكهف:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (١)

وروى أصحاب السنن ـ بسند حسن ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فقال: إن شاء الله فقد استثنى» أي لا حنث عليه وإن خالف يمينه.

ولا خلاف بين الفقهاء في أن الاستثناء المتصل باليمين مبطل لها أي أنها لم تنعقد، أو انحلت بالاستثناء، وهذا إذا كان في اليمين كفارة.

واختلفوا ـ فيما إذا كان اليمين بالطلاق، والعتاق ـ هل يبطله الاستثناء؟.

فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن من حلف ثم استثني متصلا باليمين أيا كانت هذه اليمين بالله ـ تعالى ـ أو بالطلاق، أو بالعتاق أو بغير ذلك لم تنعقد أصلا أو انحلت بالاستثناء لشمول كلمة اليمين في الحديث المروي عن ابن عمر سالف الذكر: «من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى».

وقال مالك والأوزاعي: إن الاستثناء لا ينفع في الطلاق والعتاق، بل يقعان مع الاستثناء، لأنه ينفع فيما فيه كفارة اليمين والنذر.

وقال أحمد: إنه لا ينفع في العتق فقط لحديث: إن قال: أنت طالق ـ إن شاء الله ـ لم تطلق، ولو قال ـ لعبده: أنت حر إن شاء الله فإنه حر.

هذا كله في الاستثناء المتصل حقيقة، أما المنفصل فإذا كان الفصل بسكته تنفس أو للعَيّ ألحق بالمتصل باعتبار هذا ضرورة.

(١) من الآيتين ٢٣ ، ٢٤ سورة الكهف.

وأما انفصال الاستثناء عن اليمين بأكثر من هذا فقد اختلف في قدره.

فالحسن وطاووس وجماعة قالوا: إن للحالف الاستثناء مادام في مجلسه فقط.

وقال قتادة: ما لم يقم أو يتكلم، وقال عطاء: قدر حلبة ناقة، وقال سعيد بن جبير: إنه يصح في أربعة أشهر، وعن ابن عباس أن له الاستثناء أبدا.

وهذا الاختلاف في الاستثناء المنفصل وفي قدر الزمن الفاصل بين اليمين والاستثناء مبناه الاجتهاد.

وأميل إلى إعمال الاستثناء المتصل باليمين حقيقة أو حكما كالفصل للتنفس أو للعي فحسب حيث عبرت الأحاديث بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب.

ففي حديث ابن عمر السابق الذي رواه أصحاب السنن «من حلف على يمين فقال: إن شاء الله؛ فقد استثنى».

وللنسائي وأبي داود: «من حلف فاستثنى فإن شاء مضى وإن شاء ترك غير حَنِثٍ».

تكرار اليمين:

إذا كرر الحالف اليمين على شيء واحد، أو على أشياء، وحنث. قال أبوحنيفة ومالك وإحدى الروايتين عن أحمد: يلزم بكل يمين كفارة.

أي أن الكفارة تتعدد بتعدد اليمين والمجلس والمجالس سواء.

وعند محمد ـ من أصحاب أبي حنيفة: إن الأيمان إذا كثرت تداخلت، ويخرج الحالف ـ بالكفارة الواحدة ـ عن عهدة الجميع.

وعند الحنابلة: إن من لزمته أيمان قبل التكفير موجبها واحد فعليه كفارة واحدة؛ لأنها كفارات من جنس، وإن اختلف موجب الأيمْان، وهذه الكفارة: كظهار ويمين لزمته الكفارتان ولم تتداخلا.

وإذا حلف بالمصحف قال مالك والشافعي وأحمد: تنعقد اليمين وتجب الكفارة.

قدر الكفارة

واختلف في قدر الكفارة في هذا فقال مالك والشافعي ورواية عن أحمد: تجب كفارة واحدة، والرواية الأخرى عن أحمد: تجب بكل آية كفارة.

واختلفت كلمة الفقه الحنفي في الحلف بالمصحف وبالقرآن فقيل: لا يحلف بأي واحد منهما. وقيل: إن الحلف بالقرآن الكريم متعارف فيكون يمينا.

وقال العيني من الحنفية: إن المصحف والقرآن كلام الله وكلام الله يمين، فإذا حنث لزمته الكفارة.

والحلف بالنبي لا ينعقد يمينا عند الأئمة. أبي حنيفة ومالك والشافعي وينعقد يمينا عند أحمد وإن حنث لزمته الكفارة.

الحلف بأيمان المسلمين:

في فقه المذهب الحنفي إن (الحلف بأيمان المسلمين) تنعقد بكل ما تعارف به الحلف؛ لأن ـ أيمان جميع يمين، ومع الإضافة إلى المسلمين زادت في الشمول؛ فينبغي لزوم الأيمان التي يحلف بها المسلمون لا خصوص الطلاق ولا خصوص اليمين بالله تعالى.

وفي فقه المالكية: إن عبارة (أيمان المسلمين) تشمل ستة أشياء وهي: اليمين بالله ـ تعالى ـ والطلاق البات لجميع الزوجات، وعتق من يملك من العبيد والإماء، والتصدق بثلث المال، والمشي بحج، وصوم عام، وهذا الشمول للستة إنما يكون عند تعارف الحلف بها؛ فإن تعورف الحلف ببعضها لم تشمل ما سواه.

وذهب الشافعية إلى تحريم التحليف بالطلاق والعتاق والنذر ومن ثم فلا تدخل هذه في (أيمان المسلمين) عندهم عند إطلاقها.

وقال الحنابلة: يلزم بالحلف بأيمان المسلمين: ظهار وطلاق وعتق ونذر ويمين بالله تعالى مع النية، كما لو حلف بكل منها على انفراد.

ولو حلف بأيمان المسلمين على نية بعض هذه الأشياء تقيد حلفه بما نوى.

ولو حلف وأطلق بأن لم ينو كلها ولا بعضها لم يلزمه شيء، لأنه لم ينو بلفظه ما يحتمله فلم تكن يمينا.

وحكم من حلف بأيمان المسلمين في الفقه الشافعي ثم حنث لزمه كفارة يمين، ولا يلزمه طلاق ولا غيره.

وأميل إلى الفتوى بما قال الفقه الشافعي فتجب كفارة اليمين بالله إذا حنث من حلف بأيمان المسلمين، إذ لا دليل على الشمول الذي ذهب إليه فقهاء المذاهب الثلاثة الأخرى.

أيمان خاصة تحدث القرآن الكريم عنها

منها: الإيلاء:

وهو أن يحلف الزوج على الامتناع عن الاتصال بزوجته مطلقا أو مدة أربعة أشهر سواء أكان الحلف بالله ـ تعالى ـ فحسب أم بتعليق الطلاق ونحوه.

وللإيلاء أحكام خاصة مأخوذة من قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (١)

وأصل الإيلاء في اللغة: الحلف مطلقا. سواء أكان على ترك قربان الزوجة أم على شيء آخر.

وأثر الإيلاء في الفقه الحنفي بعد توافر شروطه التي قررها الفقهاء: أن الطلاق يقع بمجرد مضي أربعة أشهر على صدور اليمين مع الإصرار على عدم الاتصال بالزوجة، ولا يتوقف على رفع الأمر إلى القاضي، ولا حكم منه بتطليقها.

ويرى الفقه المالكي والشافعي والحنبلي: أن الطلاق لا يقع بمضي أربعة أشهر؛ بل للزوجة أن ترفع الأمر إلى القاضي، فيأمر الزوج بالفيء أي الرجوع عن موجب يمينه، وهو الامتناع عن الاتصال بزوجته، فإن أبى الزوج، أمره القاضي بتطليقها، فإن لم يطلق طلقها عليه القاضي.

اللعان:

في اللغةج مصدر (لاَعَنَ) بمعنى: شَاتَمَ فإذا تشاتم اثنان، فشتم كل منهما الآخر بالدعاء عليه، بأن يلعنه ...، قيل لهما تلاعنا.

واللعان ـ في الشرع ـ لا يكون إلا أمام القاضي، وهو قول الزوج لزوجته ـ مشيرا إليها: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي هذه من الزنا.

---

(١) الآيتان ٢٢٦ ، ٢٢٧ سورة البقرة.

وإذا كانت حاملا أو ولدت ولدا وأعتقد أنه ليس منه زاد في اليمين: وأن هذا الحمل، أو هذا الولد ليس مني، ويكرر هذا اليمين أمام القاضي أربع مرات، ويزيد بعد الرابعة: وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين..

ولعان المرأة زوجها إذا لم تصدقه فيما ادعاه عليها من الزنا أن تقول: أشهد بالله أن زوجي هذا لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، وتزيد: (وأن الحمل أو الولد منه) وتكرر هذا كله أربع مرات وتزيد بعد الرابعة: وعليها غضب الله إن كان من الصادقين.

فإذا تم اللعان على هذا الوجه فرق القاضي بينهما.

واللعان من بين أقسام القرآن الكريم؛ لأن قول كل من الزوجين في الملاعنة: أشهد بالله معناه أقسم بالله.

وسبب تشريع اللعان ـ وسنده ـ على هذا الوجه ـ أن من اتهم زوجته بالزنا، ولم يثبت ما ادعاه بأربعة شهداء، كان جزاؤه أن يُحَدَّ حد القذف، وهو ثمانون جلدة، ولا تقبل شهادته لقوله ـ تعالى ـ في سورة النور:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾(١)

---

(١) الآيات ٤ : ٩ سورة النور.

ومتى تم اللعان على هذا الوجه الذي شرعه الله سقط الحد عن كل من الزوجين: حد الزنا عن الزوجة، وحد القذف عن الزوج وهذا باتفاق جميع الفقهاء، وحرم كل منهما على الآخر بمجرد الملاعنة، ووجب التفريق بينهما بطلقة بائنة يحكم بها القاضي أو يوقعها الزوج عند الإمامين أبي حنيفة ومحمد وعند الأئمة مالك والشافعي وأبي يوسف من الحنفية يفسخ القاضي عقد زواجهما، وتصير بينهما حرمة مؤبدة كالرضاع لأن الثقة بينهما قد فقدت ولقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ

«المتلاعنان لا يجتمعان أبداً»...

وفي رواية عن مالك وأحمد تقع الفرقة بين المتلاعنين بمجرد اللعان من غير حاجة إلى حكم القاضي..

الظهار:

والظهار من الأقسام التي وردت في القرآن الكريم في سورة المجادلة:

قال تعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ ﴾ (١)

والظهار: قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي.

وهذا يشبه القسم من حيث إنه قول يستوجب الامتناع عن شيء، ويقتضي الكفارة.

---

(١) الأيتان ١ ، ٢ من سورة المجادلة.

غير أنها أعظم من كفارة القسم بالله، ومن هنا.. سمى بعض العلماء الظهار يمينا.

و(كفارة الظهار) نص عليها القرآن الكريم في ذات سورة المجادلة في قوله - تعالى:-

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾[1]

ولا يقع بذات ألفاظ الظهار طلاق، إلا إذا كان بألفاظ الكناية التي تحتمل الظهار والطلاق كما إذا قال - لزوجته: أنت عليّ كأختي أو أنت عليّ حرام كأختي، فإن نوى الطلاق بواحدة من صيغ الكناية وقع الطلاق، أو نوى الظهار كان ظهارا، وإطعام ستين مسكينا في الظهار عند العجز عن الصوم يوماً واحداً وجبتين مشبعتين، أو قيمة هاتين الوجبتين لكل واحد من هؤلاء الستين أو يطعم مسكيناً واحداً ستين يوماً وجبتين مشبعتين، أو يدفع إليه قيمة هاتين الوجبتين لمدة ستين يوماً.

كفارة اليمين بالله سبحانه أو ما في معناها:

الكفارة من صيغ المبالغة من الكفر بمعنى: الستر، والمقصود بها هنا الأعمال التي تكفر بعض الذنوب وتسترها حتى لا يكون لها أثر يؤاخذ به الحالف في الدنيا ولا في الآخرة.

ويحل وقت الكفارة إذا حنث الحالف في اليمين التي حلفها.

---

(١) الآيتان ٣ ، ٤ سورة المجادلة.

ومعنى الحنث في اليمين: أن يفعل ما حلف على تركه، أو يترك ما حلف على فعله. وقد اتفق الفقهاء على أن وقت الكفارة بعد الحنث، واختلفوا في جواز تقديمها عليه:

فجمهور الفقهاء يرى أنه يجوز تقديم الكفارة على الحنث وتأخيرها عنه.

ففي الحديث الذى رواه مسلم وأبوداود والترمذي: «من حلف على يمين، ورأى غيرها خيرا منها، فليكفر عن يمينه وليفعل».

حيث جاءت عبارة هذا الحديث مرخصة في جواز تقديم الكفارة على الحنث، وعند مسلم أيضا ما يفيد جواز تأخير الكفارة ذلك قوله ﷺ:

«من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فَلْيَأْتِهَا وليكفر عن يمينه»..

وفي الفقه الحنفي: إن الكفارة لا تصلح إلا بعد الحنث لتحقيق موجبها حينئذٍ وقوله: «فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» معناه عنده، فليقصد أداء الكفارة كقوله تعالى في سورة النحل:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]

إذ معناه: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ قبل التلاوة بالله من الشيطان الرجيم، وقول الجمهور لورود النص بالجواز في الحالين.

جواز الحنث في اليمين للمصلحة:

الأصل: أن يفي الحالف باليمين مالم تكن على معصية، ومتى ظهرت مصلحة راجحة جاز للحالف العدول عن الوفاء باليمين وهذا هو الحنث فيها.

ويدل على هذا قول الله - سبحانه - في سورة البقرة:

---

(١) الآية ٩٨ سورة النحل.

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١)

وقال - تعالى - في سورة التحريم:

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾(٢)

أي شرع الله لكم التحلل من الأيمان بعمل الكفارة، وقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك..».

أقسام اليمين بالنسبة للمحلوف عليه:

١- أن يحلف على فعل واجب، أو على ترك محرم، فهذا يحرم الحنث فيه؛ لأنه تأكيد عبادة كلفه الله بها: كما إذا حلف ليحافظن على الصلوات في مواقيتها، أو ليتركن شرب الخمر، ولعب القمار.

٢- أن يحلف على ترك واجب، أو يحلف على فعل محرم؛ فهذا يجب عليه الحنث في يمينه؛ لأنه حلف على معصية، وتجب عليه الكفارة: كما إذا حلف على ألا يتكلم صدقا، أو على أن يسرق مال فلان.

٣- أن يحلف على فعل مندوب، أو ترك مكروه، فهذا طاعة لله فيندب الوفاء، ويكره الحنث.

كفارة اليمين:

إذا حنث الحالف اختيارا أو وجب عليه الحنث شرعا وجبت الكفارة عن اليمين وهي: الإطعام - الكسوة - العتق - وهو مخير بين هذه الأنواع وهي مرتبة على هذا الوجه.

---

(١) الآية ٢٢٤ سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢ سورة التحريم.

فمن لم يستطع واحدا من هذه الأنواع وجب عليه صيام ثلاثة أيام.

وسند هذا قول الله ـ سبحانه ـ في سورة المائدة:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1]

وحكمة مشروعية الكفارة..

إن الحنث في اليمين حلف وعدم وفاء، فشرعت الكفارة واجبة جبرا لهذا الحلف.

وما هو قدر الواجب في الإطعام والكسوة: لم يرد نص شرعي محددا لمقدار الطعام ونوعه وكل ماكان كذلك رجع تقديره إلى العرف.

فيكون الطعام مقدرا بقدر ما يطعم منه الإنسان الحالف أهل بيته غالبا، وليس من الأعلى الذي يتوسع فيه في المواسم والمناسبات، ولا من الأدنى قدرا ونوعا الذي يطعم منه أهله في بعض الأحيان فلو غلبت عادة الحالف في بيته أكل اللحم والخضروات والفاكهة وخبز القمح فلا يجزىء في كفارة اليمين أقل من هذه الأنواع، وإنما يجزىء ما كان مثله أو أعلى منه؛ لأن المثل وسط، والأعلى فيه الوسط وزيادة، وأما القدر فيراعى فيه كفاية الطعام للشبع العادي. وهذا كله مما يختلف باختلاف الأفراد والبلاد.

وقد اشترط الفقهاء أن يكون العشرة المساكين من المسلمين، غير أن أبا حنيفة أجاز دفعها إلى فقراء أهل الكتاب.

---

(١) الآية ٨٩ سورة المائدة.

ولو أطعم الحالف مسكينا واحدا عشرة أيام أجزأه عن عشرة مساكين عند أبي حنيفة، وأوجب غيره من الفقهاء عشرة من المساكين عدداً.

وإنما يجب الإطعام على المستطيع، وهو: من لديه فائض عن نفقته ونفقة من يعول.

الكسوة:

وهي: اللباس، ويكفي منها ما يسمى كسوة عرفا، وأقل ذلك ما يلبسه الفقراء؛ لأن الآية لم تقيد الكسوة بالأوسط كما جاء في جانب الإطعام، أو بما يلبس الأهل، ومن ثم يكفي (الجلابية) المعروفة الشاملة لجميع الجسد مع السراويل وأمثالها بغض النظر عن التسمية حيث تخضع للعرف، ولا يكفي الحذاء أو المنديل، أو المنشفة أو الطاقية.

وقال مالك وأحمد: يعطي كل مسكين ما يصح أن يصلي فيه إن كان رجلا أو امرأة.

وتحرير الرقبة: أي إعتاق الرقيق رجلا أو امرأة، وهذا الصنف لم يعد موجودا في هذا العصر.

الصيام عند عدم الاستطاعة:

فإذا لم يستطع الحالف الحانث في يمينه التكفير عن حنثه بواحد من هذه الثلاث وجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام، لا يشترط فيها التتابع، فيجوز أن يصومها متفرقة أو متتابعة عند المالكية والشافعية ويجوز إخراج قيمة الطعام والكسوة نقداً عند أبي حنيفة ومنع هذا فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة وبالله التوفيق.

الفهرس الموضوعي

عربية للطباعة والنشر
٧-١٠ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣